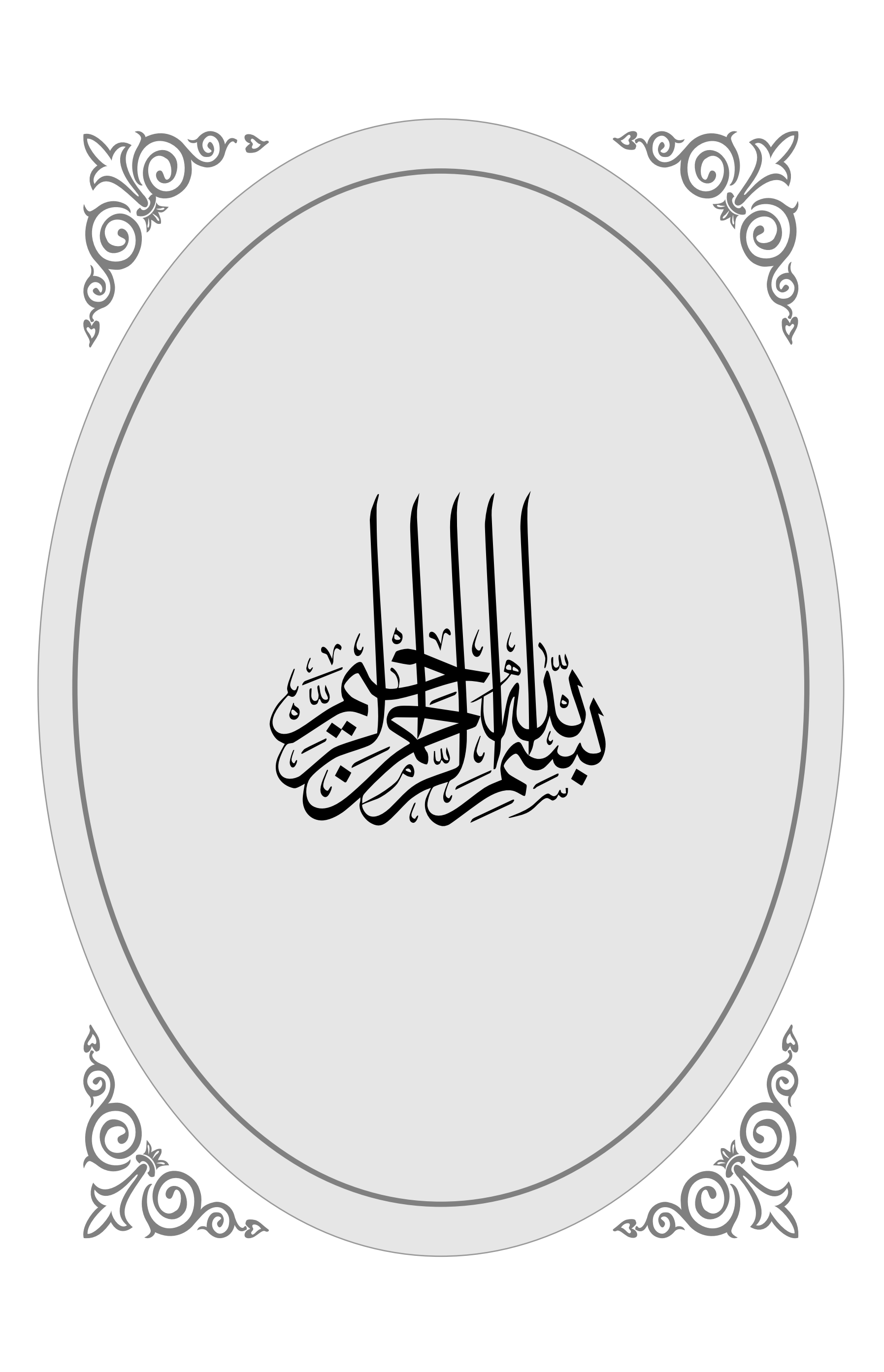


تأليف

محمد نعمان الدين الندوي

عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية





بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

سعادة الدكتور عبد الله عباس الندوي
المشرف التعليمي لدار العلوم لندوة العلماء بلكناؤ ـ الهند
وأستاذ جامعة أم القرى ـ بمكة المكرمة ـ سابقاً

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على رسوله العظيم .

وبعد :

فهذه دراسةٌ ممتعةٌ موجزةٌ في اللغة العربية توضح بعض خصائصها ، وتتحدَّث عن بعض مزاياها ، كتبها العالم الشاب الأستاذ محمد نعمان الدين الندوي ، فأوفى حقها ، وأشبع عديداً من نواحيها .

واللغةُ من الأمَّة أساس وحدتها ، ومرآة حضارتها ، فكيف إذا كانت ـ إلى ذلك ـ لغة كتاب الله « الذي تبوأ الذروة فكان ـ القرآن ـ مظهر إعجاز اللسان ، ومستودع عقيدة الدين ، ومفتاح الثقافة الإسلامية ، ومثلاً فريداً في الإعجاز اللغوي ، وفي ضوء هذه الحقيقة اتَّسمت بمغايرتها لسائر اللغات !

نحنُ لا نُنكِر أنه قد تكون لقوم من الأقوام لغةٌ حيةٌ باقيةٌ ، ولكننا لا نرى بين لغة أمة من الأمم وبين كتابهم الديني هذه الرابطة التي نراها بين العربية والقرآن . . . ، إنها رابطة فريدة المثال لا تعدِلها في هذا الباب رابطة ، وإن القرآن ـ بالنسبة إلى العرب ـ كتاب لبست فيه لغتهم ثوب الإعجاز ، إنما هو كتاب يقود إلى لغتهم مئات الملايين من أجناس وأمم يقدسون لغة العرب ، ويفخرون بأن يكون لهم منها نصيب .

وللعربية خصائصُ دينيةٌ وعلميةٌ وفنيةٌ لا يسهمها لسان قوم على الإطلاق ، أما الخصائص الدينية ، فحدث عن البحر ولا حرج . . ! وسعت كتاب الله لفظاً وغاية كما يقول المرحوم حافظ إبراهيم صادقاً ، وفيها السيرة

العطرة لخير البشرية ، وفيها كل ما أنتجه العلم والتاريخ ، ومن ثم تمتاز بعذوبة اللفظ وجمال التركيب وحسن الصياغة ، وهي ـ حيناً ـ لغة الحب والوداد ، وـ حيناً ـ لغة الحرب والشداد ، ولن يجد الباحث اللغوي لغةً أو لهجةً تفصح عن حنايا ما تكتمه الصدور من مشاعر الهمِّ والحزن ، والغبطة والسرور ، وعواطف القلب وهواجس النفس ، وإذا كانت اللغة الإنجليزية غنيةً بكلمات وألفاظ تدور حول التجارة والمعاهدات ، وتمتاز الفرنسية بكلماتها في العلاقات الدولية ، والسياسة ، واليونانية في الفكر والأوهام والأخيلة النادرة ، فالعربية تجعلك تتحدث عن القلب والعاطفة ، خذ مثلاً : كلمة « العطف » و« الحنان » و« الود » و« الحب » و« التوفيق » و« الشكر » و« الابتهال » و« الدعاء » و« المناجاة » ثم حاول أن تأتي ببدائل لها ، أو ما يرادفها من الكلمات التي تنبيء المدلول الكامل ، تجد نفسك حائرة وترجع إليك القدرة اللغوية خائبة حسيرة !

رحم اللهُ « السُّيوطي » فقد دون في كتابه « المزهر » خصائص العربية ، و« الثعالبي » سلك بنا إلى طرق عديدة للوصول إلى غاية واحدة ، ولقد أكثر العلماء في إيجاد الأصناف ، وبيان وجوه الإعجاز اللغوي من القدامى والمحدثين ، والسيد الندوي مؤلف هذا الكتاب وضع اللبنة الأولى[1] في صرح بحوثه القادمة ، وبين أيدينا باكورة عمله ولكنها مورقةٌ مزهرةٌ ، والكاتب يستحق منا التقدير ، وإني لأرجو له المزيد من التوفيق ، والمزيد من الاطلاع على المصادر القديمة والحديثة ، ويستأهل كل تشجيع وثناء ودعاء .

تحريراً في	**د . عبد الله عباس الندوي**
٢٨/ ٩/ ١٤٢٠هـ	دار العلوم لندوة العلماء
٦/ ١/ ٢٠٠٠م	بلكناؤ ـ الهند

---

(١) قد صدر للمؤلف « الروائع والبدائع في البيان النبوي » من دار الشهاب بدمشق ، (م. ن. ن) .

تقديم

فضيلة الشيخ نور عالم خليل الأميني
رئيس تحرير مجلة « الداعي » العربية
وأستاذ الأدب العربي بالجامعة الإسلامية
دار العلوم/ ديوبند ـ الهند

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء نبينا محمد أفصح العرب أجمعين ، وعلى آله وصحبه الذين شادوا الدين ، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد : فإن كلَّ مسلمٍ حقٍ يؤمن إيماناً صادقاً لا يشوبه رياء ولا نفاق ، بأنّ فعلاً من أفعال الله عزَّ وجلَّ لا يخلو من الحكمة ، وإن لم نقدر نحن البشر على تبيّنها واكتناهها ؛ فبعثُه آخرَ الرسل في الأميّين العرب ومنهم ، ومن قريش ، ومن هاشم خصِّيصاً : وإنزالُه عليه آخر الكتب المهيمن على الكتب السماوية كلها ، باللغة العربية ، وبأفصح لهجاتها ، وأنصع أساليبها ، وأنضج مناهجها : وبالتالي جعلُه اللغة العربية وعاءً لكتابه الخالد ، يستوعب مبناه ومعناه ، ويشمل أسراره وحِكَمَهُ ، ويغطي إيحاءاته وإيقاعاته ، ويسع إعجازه وإيجازه ، ويستغرق قصصه وعبره ، ويستقصي أوامره ونواهيه ، ويتقصّى قوارعه وزواجره ، ويحيط بكل ما فيه بصفته كتاباً إلهيّاً ؛ ووعدُه بحفظها ضمن وعده بحفظ كتابه ، ذلك كله من حكمة الله العلي العليم الحكيم .

إنَّ الله هو خالق البشر أجمعين ، وجاعلهم شعوباً وقبائل ، وموزعهم أممـاً وأقواماً ؛ فلو شاء لبعث آخر الرسل في غير العرب ، وأنزل آخر كتبه بغير العربيّة : ولكنه اصطفى محمداً ﷺ من العرب ليكون خاتم النبيِّين ، واصطفى العربية ليشرِّفها بإنزال كتابه الخالد فيها : فبها تلاه النبي ﷺ عليهم ، وبها فسَّره لهم ، وبها بلّغ رسالة الله إليهم وإلى الناس كافةً ، وبها علمهم أحكام الدين ، وبها تكلّم معهم وتفاهم في أمور دينهم ودنياهم .

ولمَّا اختارها الله من بين آلاف اللغات التي خلقها ، فلا بدَّ أنه كان قد أودعها من المزايا ما لم يودعه لغةً على ظهر الأرض ، وأنّه أهّلها مسبقاً لتحظى بهذا الشرف العظيم ، ولتقدر على استيعاب كتابه الباقي أبد الدهر لفظاً وغايةً ، وأنه لا تضيق عن شيء من آياته وعظاته ، وعجائبه وحسناته .

وإذا كان دستور دين الله الإسلام ـ الذي ارتضاه لعباده ولن يقبل من أحد غيره ـ وهو القرآن وتفسيره وشرح هذا الدين ، وهو الحديث النبوي ، باللغة العربية ؛ فإن فهم الدين كلّه يتوقّف على فهم اللغة العربية ؛ فهي جزء لا ينفك من حقيقة الدين ، وقد صدق شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، إذ قال :

« إنّ نفس اللغة العربية من الدين ، ومعرفتها فرض واجب وإن فهم الكتاب والسنّة فرض ، ولا يُفهم إلا بفهم اللغة العربية ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب »[١] .

وسجّل شيخ الإسلام رحمه الله في كتابه « اقتضاء الصراط المستقيم » تأكيد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه على هذا المعنى الشريف ، وهو يكتب إلى سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، فيقول :

« تعلَّموا العربية : فإنَّها من دينكم »[٢]

وإدراكاً من الأمة هذه المكانة من الدين لهذه اللغة ، انقطع عبر التأريخ الإسلامي ، إلى خدمتها بشتى نواحيها علماء لا يحصون ، صادرين عن حبهم لدينهم ، ولنبيهم العربي ، وللكتاب الذي أنزل الله عليه من فوق سبع سماوات بلسان عربيٍّ مبين . ولا يُتَصوّر أن يحبّ المرء ربّه الله تعالى ولا يحبّ رسوله ، فلا يحب لغته التي نطق بها ، ولا يحبّ قومه الذين بُعث فيهم ؛ لأن

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم : ص٢٠٧ ، ط : مكتبة أنصار السنة المحمدية ، لاهور ، باكستان ، اقرأ عنوان : « الصلة بين العربية والعلوم الإسلامية » من هذا الكتاب الذي بين يديك .

(٢) اقرأ العنوان المذكور في الكتاب .

الإنسان فُطر على حب كلِّ شيء يتَّصل بحبيبه بشكل من الأشكال ، وقد عبَّر عن هذا المعنى الإمام أبو منصور الثعالبيّ رحمه الله . وهو واحد من محبّي النبّي العربيّ والجنود المقيضين من الله لخدمة اللغة العربيَّة ـ بأسلوبه القوي ، الرائع البديع ، المُضمّخ بريّا الحبّ والحنان ، واليقين والإيمان ؛ فقال :

« مَن أحبَّ الله تعالى ، أحب رسوله محمداً ﷺ ، ومن أحبّ الرسول العربيّ ، أحب العرب ، ومن أحب العرب ، أحب العربيّة التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب ؛ ومن أحبّ العربيّة ، عُنِيَ بها ، وثابر عليها ، وصرف همته إليها ، ومن هداه الله للإسلام ، وشرح صدره للإيمان ، وآتاه حسن سريرة فيه ، اعتقد أنّ محمداً ﷺ خيرُ الرسل ، والإسلام خيرُ الملل ، والعرب خيرُ الأمم ، والعربية خيرُ اللغات والألسنة ، والإقبال على تفهُّمها من الديانة ؛ إذ هي أداة العلم ، ومفتاح التفقّه في الدين ، وسبب إصلاح المعاش والمعاد »[١] .

ويقول رحمه الله في مقدمة كتابه الفريد « فقه اللغة وسر العربية » وهو يشير إلى تفاني نوابغ العلماء ، وعباقرة الأئمة ، وصادقي أوفياء دين الله ومحبّي نبيّه ، في خدمتها :

« لمّا شرّف الله العربيّة وعظَّمها ، ورفع خطرها وكرّمها ، قيَّض لها حفظةً وخَزَنةً من خواصّ الناس، وأعيانِ الفضل، وأنجُم الأرض : فنسوا في خدمتها الشهوات ، وجابوا الفلوات ، ونادموا لاقتنائها الدفاتر ، وسامروا القماطر والمحابر، وكدُّوا في حصر لغاتها طباعهم وأسهروا في تقييد شواردها أجفانهم، وأجالوا في قلائدها أفكارهم ، وأنفقوا على تخليد كتبها أعمارهم »[٢] .

ولم يخلُ عهدٌ من عهود التاريخ الإسلامي ممن انقطعوا بعدد لا يحصى

---

(١) اقرأ المصدر نفسه .

(٢) اقرأ المصدر نفسه .

إلى خدمتها ، والتوفر على الكتابة فيها ولها وعنها ، وكان حاديهم في ذلك هو الإخلاص والاحتساب ورجاء الأجر من الرب الشكور ، حيث ظلّوا صادرين في ذلك عن روح التعبُّد والامتثال للأمر الإلهيّ باحتضان الدين بجميع شُعبه وخدمتها ، بما فيها اللغة العربية .

فتركوا في خصوص خدمة اللغة العربية وحدها آثاراً وأسفاراً ، وكتباً وتأليفات لا ـ ولن ـ يُوجد نظيرها في لغة من لغات الأرض ، ولولا الحماس الدينيّ ، والروح الحبّيّة للنبي ، ولغته ، والشعور بالمسؤولية نحو صيانة اللغة التي شرفها البارىء الحكيم ، والإحساس باللذة الإيمانية والنشوة الروحانية لدى إسداء خدمة إليها : لما تحققت هذه الجهود الجبارة المشكورة لدى الناس وربِّ الناس ، ولما سُجلت هذه المواقف المحيِّرة ، ولما وُجدت هذه المؤلفات والآثار الضخمة التي يُدهش لها القارىء ، ويتعجَّب منها المتأمِّل في قيمتها وقامتها ، ويحتار المدرك للجهود التي عصرها فيها أصحابها المخلصون ، ويلهج لهم بالثناء والدعاء كل من يستفيد منها من العلماء وطلبة العلم ، وتخضع لهم رقابهم بالشكر والعرفان بالجميل ، ويغبط عليها مثقفو غير المسلمين في الشرق والغرب .

وظلَّتِ الحالُ على هذا المنوال إذ جاءت أوائل القرن العشرين الميلاديّ ، التي فاضت فيها الخيراتُ والثرواتُ في العالم العربي بفضل من الله القدير ، وكان مصدرها الرئيس هو الذهب الأسود : البترول ؛ فصار محطّ أنظار العالم ، وموضع اهتمام الشرق والغرب ، ومجال صراع القوى الاستعمارية ، والدول الغربية الحاقدة بالذات ؛ فبرز دور اللغة العربية أكثر من ذي قبل ، وأصبحت تفرض نفسها على الدنيا على اختلاف الأمم والملل ، وأقبل عليها غير المسلمين كذلك ، وغدت إحدى اللغات الدولية ، وأقرّت بها الأمم المتحدة ، وبدأ يتعلمها حتى المسيحيّون واليهود والوثنيون وغيرهم ، المعجونة طينتهم بالعداء والحنق للإسلام والمسلمين : ليحقّقوا بها نواياهم وأغراضهم ، أو يستجيبوا بها لدواعي أمراضهم ، أو ينفذوا عن طريقها مؤامراتهم في الوطن العربي ، وغدت تستخدمها محطّات الإذاعة والتلفاز في

معظم دول العالم ، ونشطت المطابع والمكتبات ودور النشر والتوزيع بشكل لم يسبق له مثيل ، وجاء سيل الإصدارات والكتب والمؤلفات ، وأعيد بكثرة طبع وتوزيع كتب التراث العربيّ ، وعنيت بها الجامعات الحكومية والعصرية حتى في الدول غير الإسلامية .

كما ازداد إقبالُ المسلمين عليها كذلك أكثر من ذي قبل ، بدافع الإخلاص والاحتساب والحب لله ولرسوله ودينه وكتابه ولغته حيناً ـ كما كان وظلّ ذلك هو وحده الدافع الأساسيّ لدى المسلمين إلى تعلّم اللغة العربية واحتضانها عبر التاريخ ـ وبدافع مادّيّ اقتصاديّ حيناً وربّما كان أول سابقة في المجتمع الإسلامي أن يقبل المسلمون بعدد وجيه على تعلُّم هذه اللغة المُشرفة بالدافع الماديّ الاقتصاديّ . وإنما نشأت هذه « البدعة » بعدما نشأت الثروة في الصحارى العربية القاحلة الجرداء ، فكثر احتكاك المسلمين بالعالم العربيّ ، عاملين فيه أو زائرين ، أو متعلّمين لدين أو معلّمين : فبينما سرَّ المسلمين الغيارى انتشار اللغة الحبيبة أكثر من ذي قبل ، إذ حزنهم أن يجيء إقبالهم عليها بدافع غير دافع الحب والإيمان .

وكذلك كَثُرَ في العالم العربيّ أدباء وشعراء ، وكتّاب ومؤلفون ، ودارسون وباحثون ورواة قصّاصون ، ومثقّفون وصحفيُّون : كلهم ساهموا في إثراء المكتبة العربيّة وخدموا اللغة العربيّة بشكل أو بآخر ، وإلى جانب ذلك أنشِئت مجامع لغوية ومراكز بحثية مُفردة للُّغة العربية ، وشهدت حركة التأليف والكتابة ، والصحافة والإذاعة ، والتلفاز ووسائل الإعلام العامة ، نشاطات باللغة العربية ، لم يوجد نظيرها فيما سبق من الزمن ؛ وقد شجعها تقدم العلم والتكنولوجيا ، والانتصارات التي وفّق الله لإنسان اليوم أن يحقِّقها في مجال الاتصالات السريعة والفضائيات المدهشة ، التي حوّلت العالم كله قرية كونية ـ في التعبير المعاصر ـ وكان ذلك كله ناحية سارة للغة العربية من حيث المجموع .

وقد وُجِدَ بجانب هذه الظاهرة السارة ، أناسٌ احترفوا الكتابة والقول باللغة العربية ، وعاشوا على رفدها ، ونالوا الشهرة والذكر عن طريقها ،

واعتلوا المناصب متسلّقين على كتفيها ؛ ولكنهم تنكّروا للجميل ، وجازوا الإحسان بالسيّئة ؛ فنبحوا على اللغة العربية ، وناصبوها العداء ، ونادوا بكتابتها باللاتينية حيناً ، وبإيثار العاميّة على الفصحى حيناً ، وبتحريرها عن قيود الإعراب وأغلال النحو والصرف تارة ، وبقطعها عن ماضيها العريق تارة أخرى كما عادوها بانتهاك عرضها وجرح شرفها : فلطّخوها بالأدب الماجن ، والنثر الخليع ، والشعر الفاحش ، والقصص المغرية ، والروايات المتهتّكة ؛ بحجة تذليل الصعوبة المزعومة ، وحجة مجاراة العصر وتبني الحداثة ، والخروج من البرج العاجي ، والانفتاح على الثقافات العالمية ، والتحرر من جميع شوائب الانطوائيَّة والجمود والرجعيَّة ، وأخيراً ـ لا آخراً ـ من كل لوثة من لوثات الأصوليَّة !!

ولكنَّهم لم ـ ولن ـ يكونوا ضمن الممثلين الحقيقيّين للعروبة والعربية فضلاً عن الإسلام : لأن العربية قد آمنت بالإسلام منذ أن نزل بها القرآن ، ودعا بها الرسول العربي محمد بن عبد الله ﷺ ، وآمن به العرب ، فكل من ينحرف بالعربية يميناً وشمالاً ويشذ بها عن صراط الله المستقيم ، والخط النبويّ القويم ، ويحاول أن يقطع صلتها عن الإسلام ، وأن « يُعَصْرِنها » و« يُحَدِّثها » بمعنى أن « يغرّبها » ؛ فيخدش خدها الصقيل ، ويجرح قلبها النزيه ، ويلوّث ذيلها الطاهر ، يخزيه الله في الدنيا قبل الآخرة ، ويجعل كيده في نحره ، ولا يجني سوى الذلّ والشقاء والخسران ، وستظل العربية الفصحى البريئة النزيهة ، الشريفة المشرّفة : لغة القرآن مرفوعة الرأس ، مسموعة الكلمة ، مطاعة الأمر ، ذات السيادة المطلقة ، والعملة المتداولة ، باختيار الله العزيز القويّ الذي كان وعده مفعولاً :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] .

فقُوبِلت ـ ولا تزال وستظلُّ ـ محاولات هؤلاء وأولئك من العملاء والمتغرِّبين والمتنكِّرين ، والمحرومين من لذة الطهر والإيمان ، وحلاوة العربية الفصحى والقرآن ، بمعارضة بل مكافحة أقوى من قبل نوابغ الفصحى الغيارى المخلصين ، وحملة لوائها الإسلاميّين ، المنادين باستمرار جريانها

في القناة القرآنية الحديثيَّة ، ودورانها في فلك الأصالة القرشيَّة ، وإطار الآداب الإسلاميَّة والتعاليم الشرعيَّة فلم يُضِرِ العربية ـ ولن يُضِيرْها ـ نباح الكلاب والذئاب حول حوضها الصافي ؛ لأن الحارسين الساهرين ظلّوا ـ بتقدير العزيز العليم ـ يدافعون عنها بسلاح أقوى من سلاح المغرضين المتنكِّرين .

* * *

وبالمناسبة يجوز أن نشير إلى حقيقة مرّة ، وهي : أن البلاد العربية الغنية منها والفقيرة ـ كل في إطار إمكانياتها ـ لم تؤدِّ نحو اللغة العربية مسؤوليتها أداءً صحيحاً ولم تُعْنَ بها عناية لائقة ، ولم تهتمَّ بنشرها في العالم ، اهتماماً يتطلَّبه منها شأنها الدينيّ ، وكونها شعار الإسلام ، ولغة القرآن ، ومفتاح فهم الدين .

أليس مِن العجيب أن الدول الأوربيَّة ترصد ميزانية خاصة لتنفق على العمل على نشر اللغة الانجليزية التي ليست عندها لغة دينية ، وإنما تفعل ذلك بدافع سياسيّ ، وبدافع الحب للثقافة واللغة الوطنية ؛ فتأمر الملحقيات الثقافية في سفاراتها في الخارج أن تتصل بالأفراد والجماعات ، ومعاهد التعليم ، والجامعات ، وترغّبها في تعلُّم الإنجليزية ، وتقدِّم لها مجاناً كل ما تحتاج إليه من التسهيلات ، حتى توفِّر عليها المال والوقت ، ويندفع إلى تعلمها حتى الذي قد لا يحتاج إليها من رجال الشارع ، وتنظم إلى جانب ذلك دروساً وتقيم فصولاً في داخل السفارات ، ليلتحق بها ، ويتردد عليها كل من شاء ، وتستخدم في ذلك دعايات وكل نوع من الإغراءات ، وتوزع النشرات والمطويات التي تسهل سبيل التعلّم ، كما أنّ هذه الدول تكلّف محطات الإذاعة والتلفاز وأجهزة الأنترنت الحديثة بعقد دروس في الأسبوع مرة على الأقل ؛ حتى يستمع لها ويتلقاها كل من آنس من نفسه رغبة فيها .

كما أنَّ أجهزة التعليم في داخل معظم الدول الأوربية نشيطة جداً في اتخاذ كل وسيلة تساعد على تعلُّم الإنجليزية أو الفرنسية للناطقين بهما وبغيرهما .

على حين إنّ اللغة الإنجليزية مرغوب فيها لدى جميع الشعوب والأمم بشكلٍ عفويّ ؛ لكونها لغةً مستخدمةً على المستوى الدوليّ ، وكونها وسيلةً وحيدةً للتواصل العالمي ؛ حيث إن الدول الأوربية والقويَّة قد فرضتها على العالم شاء أو أبى ، فالناس بدورهم يحرصون على تعلُّمها وتعليمها أبناءهم ، حتى يسهل عليهم كسب لقمة العيش ونيل الوظائف والمناصب الكفيلة برواتب عالية وامتيازات كبيرة ، وهناك سباق محموم بين الناس في جميع الدول ، ولاسيما الآسيوية ، في شأن إقامة مدارس التعليم الإنجليزية وغدا ذلك تجارةً رابحةً جداً ، وأصبح موضة لدى الطبقة الأرستقراطية والعائلات ذات الدخل الكبير ـ وحاكتها العائلات ذات الدخل المحدود كذلك ـ أنها تلحق أولادها بمدارس مخصصة لتعليم الإنجليزية تتقاضى رسوماً تعليمية وسكنيّة عالية بالقياس إلى المدارس العامة الأخرى .

وإذا قارنا ذلك بما تصنعه الدول العربية تجاه العربية ـ التي هي شعارها وعماد فخارها ـ وجدنا أن مساعيها لا تحمل إلا قيمة قطرةٍ مقابل البحر أو ذرةٍ مقابل الصحراء ، ووجدنا أنها ترتكب تقصيراً فظيعاً في حقها .

ألا تعجب إذا علمت أنّ الدول العربية لا تستجيب لصرخات العاملين في مجال اللغة العربية في ديار الغربة ، إذا مدّوا إليها أيديهم بسؤال ، وطلبوا منها حتى المجلات والصحف الصادرة فيها ، فضلاً عن الكتب ، وفضلاً عن تمويل مشاريع اللغة العربية ، وقد علمنا أن كثيراً منهم كتبوا إلى المجالس العليا للشؤون الإسلامية والإدارات الثقافية والمؤسسات اللغوية في بعض منها عشرات المرات ، لتمدهم بمجلاتها وبعض الكتب التي أصدرتها ؛ كما كتبوا في ذلك إلى سفاراتها بالهند ، حتى سئموا دون أن يتلقَّوا منها رداً كريماً على حين إن كتابة « الرد الكريم » على الخطاب مسؤوليّة أخلاقيّة عامّة يعمل بها حتى غير المسلمين .

ويُستثنى مِن ذلك بعض الدول العربية التي قد تستجيب لنداء العاملين المخلصين في مجال اللغة العربية ، وقد تساعدهم ببعض الوسائل الثقافية

المعينة على خدمتها ، وعلى رأسها المملكة العربية السعودية ودولة الكويت .

ولكنَّ جهودَ أيٍّ منها في شأن تعميم اللغة العربية لا ترتقي إلى المستوى المطلوب منها وتبقى متهمة بالتقصير المزري ، ما لم تغير موقفها الحاليّ ، ومالم تنشط على مستوى المسؤولية ، حتى تغزو العربية كل معهد تعليمي في ديار العجم ، إن لم تغز كل بيت فيها ، وحتى تعود ـ على الأقل ـ لغة كل مثقَّف مسلم ، إن لم تكن لغة كل من رجال الشارع .

والجديرُ بالذكر أن الدول العربية ولا سيما الغنية منها تفعل ـ بتوفيق الله عز وجل ـ الكثير من الخير في المجالات الإسلامية والإنسانية ، وتلك هي معالم مساعداتها الخيرية ونشاطاتها الإسلامية ، شاخصة ومشهودة عبر العالم ، ناطقة بفضلها ، متغنية بأريحيّتها .

* * *

ويحلولي بهذه المناسبة أن أذكر أنّ نصيب مسلمي شبه القارة الهندية ، في شأن تبنّي اللغة العربية صيانةً ونشراً وخدمةً لها على شتى الأصعدة ، كان أبرز من جميع الشعوب المسلمة في العالم ؛ ولذلك أسباب كان على رأسها توفيق الله عزَّ وجلَّ وحكمته ، ثم حب مسلمي هذه الديار الشديد العجيب للنبيّ العربيّ محمد ﷺ وقومه العرب ، ولغته ، وكلّ ما يتصل به ﷺ وينتمي إليه .

وقد نبَغَ فيها علماءُ كثيرونُ منهم ربما تخصَّصوا فيها ، وربّما جمعوا بين العلوم الإسلامية والتعمُّق في العربية ، وبرّز عدد منهم فيها ، حتى فاقوا العرب أيضاً ، وسلَّمت لهم الأمة الإسلامية كلها بالأستاذيَّة[١] .

وعندما كَثُرَ الاحتكاكُ بالعالم العربيّ في العصر الحاضر ، كثر الإقبال عليها من قبل المسلمين في هذه الديار ، وتولَّت هذه المسؤولية المشرّفة بشكل

---

(١) مثل فقيد الإسلام والأمة الإسلامية واللغة العربية ، الإمام الداعية والأديب الإسلامي الأكبر سماحة المغفور له العلامة الشيخ أبي الحسني علي الحسني الندوي رحمه الله (م. ن. ن) .

أساسيّ المدارس والجامعات الإسلامية الأهلية التي هي وحدها ترابط على الثغر الإسلامي في هذه الديار ، وتُمدّ الجسم بكل ما يحتاج إليه من أجل النموّ والبقاء ، والنشوء والارتقاء ، وتدرس جميع العلوم الإسلامية باللغة العربية إلى جانب ما يُوجدُ في المدارس والجامعات الكبرى منها ، من أقسام وكليات مفردة لتعليم اللغة العربية وآدابها : وإن كان هناك نقائص في مناهج بعضٍ منها ؛ حيث تَعتمد في التفهيم والشرح على اللغات المحلِّية ، وعلى رأسها الأرديّة ـ التي هي كذلك محفوظة مخدومة خدمة رئيسة بفضل هذه المدارس والجامعات ـ فلا تنال العربية في أوساطها الاهتمام الشامل ، الذي من شأنه أن يجعلها لغة النطق والكتابة والخطابة بشكل عام ؛ فهي تبقى مفهومة لحد استيعاب العلوم والفنون التي تدرس ، دون أن تكون منطوقة ومكتوبة متداولة في المجتمع الطلابيّ كلِّه ، ومختارة للكتابة والتأليف لدى عامة العلماء والمدرسين والأساتذة .

كما يُوجد في هذه المدارس والجامعات ـ مع الأسف ـ من أعضاء التدريس من لا يؤمنون بجدوى اختيار عامة الطلاب والأساتذة للغة العربية كلغة نطق وكتابة وخطابة في هذا المجتمع العجميّ الذي لا يفهمها ؛ ولكن عدد أمثالهم قليل ، وعذرهم أنهم قاصرو النظر ، قليلو الدراسة ، لم يتمتعوا بالانفتاح وبسعة الاطلاع ، ولم يوفَّقوا بعد أن يضعوا في اعتبارهم العالم الإسلامي الواسع ؛ حيث لم تسمح لهم ظروفهم الخاصة أن يتزوَّدوا بالوعي الإسلامي الصحيح .

فالحاجةُ ماسّةٌ إلى بذل جهود مركَّزة منسَّقة لإدخال تعديلات في المناهج الدراسية لدى هذه الجامعات والمدارس في جانب ، واتخاذ وسائل فعّالة للترغيب ، وإيجاد سبل تذليل الصعاب والعوائق ، وهي عديدة متنوعة إنما يزول بعضها بعناية الدول العربية واضطلاعها بالدور الذي يجب عليها تجاه هذه اللغة المباركة .

ومِن جملة هذه الوسائل وضع كتب شيِّقة سهلة على المستوى الراقي من قبل المتخصِّصين على نهج الحديث في موضوعات الكتب الدراسية وكتب

الأطفال ، وكتب تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها ، وكذلك وضع كتب ورسائل تشيد بفضل العربية وقيمتها من الناحية العقديّة ـ وهي الناحية الأساسية العاطفية التي تخطب قلوب المسلمين في العالم عموماً وفي هذه الديار خصوصاً ـ ومن الناحية المادية ؛ حيث إن العربية عادت اليوم إحدى اللغات المدرَّة للرزق والضامنة للبارعين فيها للوظائف المغبوطة والمناصب المرموقة.

* * *

وفي هذا الشأنِ أحسَنَ الأخُ العزيز الأستاذ محمد نعمان الدين الندوي ـ أستاذ بالجامعة الإسلامية دار العلوم بمدينة « حيدر آباد » بالهند ورئيس تحرير لمجلة فصلية صادرة عنها باسم « الصحوة الإسلامية » ـ إذ وضع هذا الكتاب الجميل « خصائص اللغة العربية . . » مُؤسساً على دراسة واسعة واعية لعشرات من المصادر والمراجع ، من الكتب والمجلات العربية الوقورة ، سهر فيها الأيام والليالي ، وانتقى منها خلاصة مصطفاة من روائع الأقوال ، ومطايب الشهادات ، وجميل الآراء والبيانات ، للعلماء والأئمة ، والأدباء والكتَّاب قديماً وحديثاً ؛ كلها تجلِّي بدلائل منطقيّة خصائص اللغة العربية ، وفضلها على جميع اللغات واللهجات في العالم البشريّ ؛ وتبيّن معجزاتها وتفرّداتها بين شقيقاتها وصديقاتها في الدنيا ؛ وتؤكد كونها ضرورة عقدية وحاجة شرعية ، ومطلباً إسلامياً ، واختياراً ربّانياً ، وتعطي صورة مغبوطة مشجعة لدور السلف الصالح في الاهتمام بها، والسهر عليها، وحبهم العجيب لها ؛ ومقابل ذلك تشير إلى تقصيرنا المشين وإهمالنا الخطير في شأنها .

وقد أرْجَعَ الأستاذ كلَّ كلمة إلى قائلها ، وأسند كلّ مقالة ، وأحال على الكتب والمجلات التي صدر عنها : فجاء الكتاب قيِّماً موثوقاً به ، جديراً بالاعتناء والاقتناء ؛ لأنه سجل موجز لكثير مما قاله السلف الكرام والخلف العظام في مجد العربية وشرفها ، وما صنعوه معها من محاسن الخدمات ، ومكارم الأفعال .

والمؤلِّفُ تخرَّجَ في جامعة ندوة العلماء على أساتذة متذوِّقين لحبِّ اللغة العربية ، متشرّبين حب نبيّ الإسلام سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، منقطعين إلى خدمة هذه اللغة المرتضاة من رب العالمين ، متعمقين فيها وفي آدابها ، دائبين في الكتابة والتأليف فيها وعنها ، عاملين باستمرار على نشرها وغرس حبها في القلوب .

كما أنَّه نجلُ عالمٍ هنديٍّ دينيٍّ كبيرٍ ، صاحبُ مؤلّفات عديدة قيمة في الموضوعات الفقهية والقضايا الشرعية ، يعمل رئيساً لقسم التفسير بكلية الشريعة وأستاذاً للحديث الشريف والفقه في جامعة ندوة العلماء بلكهنو ـ الهند ، منذ سنوات طويلة ؛ وهو : فضيلة الشيخ محمد برهان الدين السنبهلي أحد أبناء الجامعة الإسلامية الكبرى دار العلوم/ ديوبند بالهند .

فوَرِثَ حب الدين ، وحبّ العلم ، وحبّ اللغة العربيّة ـ فاستحلى خدمتها ، واستعذب الكتابة فيها ـ من والده أوّلاً ، ومن أساتذته البررة العظام أولئك ثانياً ، وقبل ذلك من صحبة سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندويّ/ حفظه الله مع الصحة[1] الذي جمع بين العلم والعمل ، والدعوة والأدب ، والفكر والقيادة جمعاً شاملاً ؛ وأشبع العقول والقلوب حباً لله ولكتابه ، ولرسوله ولغته ، وقومه ووطنه ؛ وأسكر جميع الجالسين إليه ، والمترددين عليه ، والمتلقِّين منه ، والمستمعين له ، والمعجبين به ، والملتقين معه حضورياً أو كتابياً أو عبر قراءة مؤلفاته المكهربة بحب الإسلام ، بهذا الحبّ الصافي الحلال ، المطلوب من رب العزة والجلال .

فالكتابُ إلى جانب مواده الدسمة ، ونصوصه المأثورة ـ التي عليها يشتمل أصلاً ـ وعبارته الفائحة ، وأفكاره النيِّرة ، ومعانيه الخيِّرة ، وعناوينه الجذَّابة ، وعرضه الرضيِّ ، وأسلوبه الشذيِّ ، معجونٌ بالنفحات الإيمانية

---

(١) كتب ذلك فضيلة صاحب المقدمة ـ حفظه الله ـ قبل وفاة سماحه الشيخ الندوي ـ يرحمه الله ـ بيوم واحد فقط (م. ن. ن) .

التي تجعل القارىء يتجدَّد إيمانه ، وتتقوَّى عقيدته ، وتتأكَّد ثقته بخلود اللغة العربية ، وكونها سيدة الموقف بين اللغات كلها في كل زمان ومكان ، وتتشجع رغبته في العمل لها ، والتحرك النشيط في سبيلها ، والركض الدؤوب من أجل تعلُّمها فتعليمها وتوسيع رقعتها .

فهو هديةٌ جميلةٌ وتحفةٌ رائعةٌ إلى كل معنيٍّ باللغة العربية ، من الأساتذة والطلاب والكتاب ، يهب كل من يقرؤه منهم بدرر المعاني ، وغرر المعلومات ، ويزوِّده بعزيمة دافعة للعمل والانطلاق إن شاء الله .

ويقيني أنَّ الكتاب سينال من القراء إقبالاً لائقاً ، وقبولاً فائقاً ، ويكون عوناً كبيراً على إيقاظ كل مقصر في شأن العربية من رقدته ، فرداً كان أو جماعةً ، حكومةً كان أو دولةً وسيتلو هذا المؤلف النبيل مؤلفات أخرى في الموضوع بقلم المؤلف العزيز وغيره من الكتَّاب الغيارى ، والمؤلِّفين المعنيِّين بقضايا اللغة العربية .

وأنتهز المناسبة لأتضرع إلى الله مولانا العلي القدير أن يضفي على الكتاب مسحة القبول ، وأن يجعله نافعاً في الأغراض المتوخاة من تأليفه ، وأن يتقبَّله قبولاً حسناً ، وأن يجعل سطوري هذه خالصةً لوجهه الكريم ، وأن يشمل المؤلف وكاتب السطور وأساتذتهما بمنِّه وكرمه ، ورحمته ولطفه ، وأن يوفق كل قارىء للكتاب أن لا ينسانا في دعواته ، إنه هو الملهم للخير والسداد .

وصلَّى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله سيدنا ونبينا وشفيعنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

تحريراً في :
منتصف ليلة الخميس
٢٠/ رمضان المبارك ١٤٢٠هـ
٣٠/ ديسمبر ١٩٩٩م

نور عالم خليل الأميني
الجامعة الإسلامية دار العلوم
ديوبند ـ الهند

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المؤلف

الحمد لله خلق الإنسان ، وكرَّمه وفضَّله بالنطق على سائر الحيوان ، وشرّف اللغة العربية بالبيان على كل لسان ، وكفاها شرفاً وفخاراً وشهادةً بكونها لغةً عظيمة القدر والشرف والكمال ـ عظمة لا تدانيها عظمة ـ أنها بها نزل القرآن ، وأنها لغة أهل الجِنان ، وحث عليها ـ تعلماً وتعليماً ـ النبي العربي الهاشمي فيما يروى عنه ـ ﷺ ـ أنه قال : « تعلَّموا العربية وعلِّموها الناس ، فإنها لسان الله عز وجل يوم القيامة » .

والصلاة والسلام على أفضل الرسل وأفصح العرب سيدنا وحبيبنا ومولانا محمد ـ ﷺ ـ الذي أوتي جوامع الكلم ، وعلى آله وصحبه الغرِّ الميامين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد : فقد شغفت باللغة العربية ـ من حيث كونها لغة القرآن الكريم والدين الحنيف والرسول الصادق المصدوق الأمين ـ شغفاً لا أعدل به شيئاً آخر في الحياة ، وأحببتها منذ صباي حباً خالط لحمي ودمي ونفسي وروحي ، وسيطر على ذهني وعقلي ، وحب الصِّبا شديدٌ ، فهو كالنقش على الحجر ، الذي لا تستطيع أن تمحو أثره السيول والفيضانات والأمطار الغزيرة ، ولا تؤثر عليه العواصف الهوجاء والرياح العاتية ، فكان شأنها ـ العربية ـ مني كما قال الشاعر العربي :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى ... فصادف قلباً فارغاً فتمكَّنا

أو كما قال العبقري أبو الريحان البيروني وهو يصف حبَّه وغرامه بالعربية :

« لئن أُشْتَم بالعربية خير من أن أُمْدَح بالفارسية » .

فكانت نتيجة ذلك أن معظم مطالعاتي لكتب اللغة العربية وصحفها ومجلاَّتها ، وهوايتي المفضلة الكبرى : اللغة العربية قراءةً ونطقاً وكتابةً . . ، بحيث أستطيع أن أقول ـ غير مسرف ـ أنني أجد في الاشتغال بالعربية من الحلاوة والمتعة ، والسعادة واللذة ، والغذاء الروحيِّ ما لا أجده في أيِّ شيء ـ من الدنيا ـ مهما زها وحلا ولذّ وطاب !!

ولا شكَّ أن الفضل الأكبر ـ بعد توفيق الله سبحانه ـ في هذا الغرام العظيم والشغف الزائد « بلغة الضاد » يرجع إلى البيئة المباركة العامرة بحب « لغة القرآن والحديث والإسلام » البيئة التي وضع فيها حجر أساس دراستي الدينية ـ إذا صحّ هذا التعبير ـ التي استمرت ـ فيها ـ إلى أن وصلت إلى مرحلتها النهائية الرسمية ، مرحلة شهادة « الفضيلة » ، البيئة التي تهبُّ فيها نفحات حب لغة الكتاب والسنة ، وتفوح أرجاؤها وجدرانها وأرضها وسماؤها بعاطر أحاديثها ، والتنافس الشريف في تعلُّمها والإقبال عليها ، والتمكُّن منها لمعرفة أسرار الكتاب المعجز ، البيئة التي يتربى فيها الناشىء ـ الطالب ـ على حب « لغة العقيدة » والناطقين بها من العرب الكرام ، من حيث كونهم من الرعيل الأول للإسلام ، وطليعة جنوده ، الذين اختارهم الله مخاطبين أولين للقرآن ، وشرَّفهم بحمل مشعل رسالته إلى أقصى أنحاء المعمورة .

تلكم : بيئة « ندوة العلماء » العربية التي كانت من كبرى أهداف تأسيسها ـ سنة ١٣١١هـ ـ الاعتناء باللغة العربية ، والتي سمَّاها بعض الفضلاء العرب ـ بحق وجدارة ـ بـ : « واحة خضراء في صحراء قاحلة جرداء » .

وإن قصة اهتمام الندوة بهذه اللغة المقدسة الجليلة وتوسيع رقعتها في هذه البلاد خصوصاً ، وفي العالم عموماً لا تحتاج إلى بيان أو دليلٍ وبرهان .

فالبيت يعرفه والحل والحرم

فقد اعترف ـ ويعترف ـ بأسبقيَّة ندوة العلماء وخدماتها الجلَّى ، ومنجزاتها العظيمة في هذا الحقل الشريف ـ حقل الاهتمام بلغة القرآن

الكريم ـ كل منصفٍ بصيرٍ واعٍ مطلعٍ ، ولا ينكرها إلا مكابر ، وعلى جحد الحق مثابر !

لقد رفعت ندوة العلماء لواء العربية في هذه الديار ـ في عصر مبكِّر ـ كانت تظن فيه العناية بالعربية ـ نطقاً وكتابةً وخطابةً ـ عبثاً وأمراً لا طائل تحته ونوعاً من إضاعة الوقت !

ولكنها ـ ندوة العلماء ـ مضت ـ غير عابئة بنقد ناقد أو لومة لائم ـ معنيَّةً بأمر العربية ، رافعةً مكانتها ، مجاهدة في سبيلها ـ في محيط التأليف والكتابة والصحافة ، وعلى منصة الخطابة والدعوة ـ لافتةً أنظار الناس إلى سحرها وبهائها وشأنها المطلوب ، وأهميتها الضائعة المفقودة في هذه البلاد ، حاميةً حماها من « حيف الأعجمية » داعيةً إليها كمنطلق أساسي لفهم المصدرين الأساسيَّين للتشريع الإسلامي ، وما يتفرع منهما من علوم وفنون ، وكنوز ومعارف تحتويها المكتبة الإسلامية العربية العظيمة الفريدة التي لا يوجد لها نظير لدى أيِّ أمةٍ من الأمم ، وكلغةٍ حيةٍ تستجيب لمطالب الحضارة ومقتضيات الحياة المستجدَّة ، قادرةً ـ بما فيها من مرونة وحيويَّة وصلاحيَّة واستعداد لقبول الجديد واتساعٍ للتعبير عن الحياة وما يجدّ فيها ـ على مجاراة الزمن ، مخرّجة طليعةً تضطلعُ بمهمة اللغة العربية تدريساً وتعليماً وتأليفاً ، وعلماء ودعاة يرفعون علم الدعوة الإسلامية في الأقطار العربية والإسلامية ، متميِّزين بالجامعية والبصيرة العلمية ، وسعة النظر واتزان الفكر ، والشعور بتغير الزمن ومتابعة القضايا المستحدثة ، ومعرفة ذهن الجيل الجديد ونفسيته .

كما أضاف أبناء ندوة العلماء ـ وعلى راسهم بركة العصر الإمام الداعية الأكبر ، نعمة الله العظيمة للأمة الإسلامية جمعاء ، شيخنا ومرشدنا ومربينا سماحة العلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ـ أمتع الله المسلمين بحياته ، وأبقاه للإسلام ذخراً ، ولأمة الإسلام سراجاً ومرشداً[١] ـ أضاف أبناء

---

(١) كُتبت الكلمة قبل وفاة سماحته ـ رحمه الله ـ بأيام فقط .

ندوة العلماء إلى مكتبة الإسلام العربية العامرة ـ ثروة غنية علمية وأدبية وثقافية تخاطب العقلية المعاصرة وتشرح لها محاسن الإسلام في لغة العصر بأسلوب حكيم يقنع العقل والقلب للإنسان المسلم المعاصر ، وبذلك ملأوا فراغاً علمياً وثقافياً كبيراً في المكتبة الإسلامية المعاصرة .

وإذا كان الله سبحانه ألهم بُناة ندوة العلماء ـ في أرض بعيدة آلافاً من الأميال من مركز الإسلام ومهبط الوحي وموطن العربية ـ للاعتناء بلغة الكتاب والسنة ، ووفق أبناء الندوة لتقديم خدمةٍ بكرٍ للعربية في هذه القارة ـ لم يسبقوا إليها ـ وزرعِ غراسٍ أثمرت أحسن الثمر وأينعه . . فإن ذلك من آيات حفظ الله للغة القرآن والسنة !

ولا أريد أن أطيل الحديث عن ندوة العلماء ، ومآثرها ومنجزاتها ، وبخاصة في مجال « اللغة العربية » ، فذلك يحتاج إلى دراسات مستفيضة مستقلَّة لا تتسع لها ولا تسمح بها هذه السطور القليلة ، وإنما أحببت الإشارة إلى ذلك كما اقتضى بذلك المقام ، ودعا إليه موضوع الحديث ـ حديث اللغة العربية ـ فقد تطرَّق الحديث إلى ندوة العلماء وأنا أتحدث عن صلتي وشغفي بالعربية ، ثم الحديث عن العربية لا يكتمل ـ طبعاً ـ بدون الحديث عن « ندوة العلماء » لما لها من خصوصية وصنائع في هذا الحقل الشريف ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم !

هذا ، ولم أزل مشغوفاً بالعربية قراءةً ومطالعةً لمؤلفات الكتَّاب والمؤلِّفين العرب والعجم ، وتتبُّع الصحف والمجلات الصادرة عن البلدان العربية ، والبحث عن الجديد من المنشورات والمطبوعات العربية ، فلم أشبع بالموجود ، وطالب العلم منهوم ، وقد ساعدني على إشباع نهمي العربي وجودي طالباً في الندوة ، التي تنهال عليها مئات الصحف والمجلات ـ من جميع أنحاء العالم ـ في مختلف اللغات عموماً ، والعربية خصوصاً ، ويتسابق المؤلفون في إهداء مؤلفاتهم إلى مكتبة الندوة العامرة التي تُعدُّ من كبرى المكتبات في الهند .

كما وفقني الله سبحانه أن أشارك في خدمة العربية الحبيبة ـ مشاركة الشادين المتطفلين ـ بكتابة بحوث ومقالات حول موضوعات دينية وأدبية واجتماعية نشرت ـ ولا تزال ـ والحمد لله ـ تنشر ـ في مختلف الصحف والجرائد منذ أن كنت في نهاية العقد الثاني من عمري ، ومن أهم هذه البحوث : « رسالة » تقدمت بها لنيل شهادة « الفضيلة » إلى كلية الشريعة بدار العلوم لندوة العلماء ، وقد صدرت ـ أخيراً ـ عن « دار الشهاب » في دمشق باسم « الروائع والبدائع » في البيان النبوي .

ثم وهبني الله سبحانه منبراً مستقلاً ـ منذ أكثر من عشر سنوات ـ لخدمة لغة القرآن الكريم ، وهو منبر مجلة : « الصحوة الإسلامية » التي تصدر عن الجامعة الإسلامية دار العلوم ـ حيدر آباد ـ الهند ، فقد أسندت إليَّ مهمة رئاسة تحرير المجلة منذ صدورها ، وهكذا تحققت أمنيةٌ لي غاليةٌ عزيزةٌ طالما دعوت الله سبحانه لتحقيقها ، وهي ـ الأمنية ـ أن تتاح لي فرصة خدمة لغة الكتاب العزيز والحديث الشريف بصفة مستمرة من منبر عربي عبر مجلة أو صحيفة أو مؤسسة . . ، فكأني وجدت ضالَّتي ، وفزت بحبيبي المفقود ! فازدادت ـ بطبيعة الحال ـ الفرص لكتابة البحوث والمقالات تحت موضوعات علمية ودينية ، وأدبية واجتماعية أو تحت موضوعات تقتضيها الأوضاع والظروف المحلِّية والعربية والدولية مما لها بالإسلام صلة ، ومن أهم هذه البحوث المنشورة في مجلة « الصحوة الإسلامية » بحث كان حول اللغة العربية وخصائصها البارزة وضرورة تعلمها ، وعناية السلف بالحفاظ عليها ، وتقصير الخلق في الاعتناء بها .

وقد قوبل البحث ـ الذي نشر أيضاً في مجلة : « الأدب الإسلامي » الصادرة عن رابطة الأدب الإسلامي العالمية بالرياض وغيرها من المجلات ـ بالإعجاب والترحاب ، لكونه ـ البحث ـ مشتملاً على معلومات مفيدة ومزايا بارزة وأقوالٍ مأثورةٍ من كبار الصحابة ـ رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ـ والأئمة الأعلام عن أهمية اللغة العربية ، قد لا يجدها القارىء في مصدرٍ واحدٍ ، فقد اخترت هذه المعلومات والخصائصَ والأقوالَ عن العربية من

عشرات المصادر والكتب والصحف والمجلات العربية ، فهي عصارة قراءة آلاف من الصفحات ، وحصيلة المطالعة المتواصلة للمصادر والكتب العربية ، إذ قضيت زهرة حياتي وربيع عمري راتعاً في رياض « العربية » الفيحاء ، مقتطفاً من ثمارها وزهورها ما زها وطاب !

فهذا الترحاب الذي قوبل به البحث ، شجَّعني كثيراً ، ودفعني إلى أن يطبع ـ البحث ـ كتاباً ليعم النفع وتكثر الفائدة بإذن الله ! وقد تناولت البحث بتعديلات وإضافات كثيرة تزيد الكتاب قيمةً ونفعاً وإفادةً إن شاء الله !

وهذا العمل جهد من مقلٍّ ، لا أزعم أنني جئت فيه بجديد بقدر ما اعترف بأنني استفدت كثيراً من المصادر القديمة والحديثة ، ومن ثمرات جهود علماء اللغة الغُيُر الأعلام الذين وهبوا أنفسهم لحمايتها وحراستها والذود عنها ورعايتها وحفظها وتنقيتها من الشوائب .

أرجو من كرم الله سبحانه أن تنفع هذه الخدمة المتواضعة للغة القرآن الكريم محبِّيها المخلصين لها ، وتكون سبباً للحث على تعلُّمها والاستفادة منها والشعور بأهميتها ومكانتها الفريدة بين اللغات .

وأخيراً ـ لا آخراً ـ أشكر صاحب السعادة الأستاذ الدكتور عبد الله عباس الندوي على تفضُّله الكريم بتقديم الكتاب تقديماً رائعاً قيماً يعتزُّ به الكاتب وتزداد به قيمة الكتاب ، وهذا الفضل ـ منه ـ ليس بجديد عليَّ ، فهو ـ يحفظه الله ويرعاه ـ يغمرني دائماً بعطفه الأبويّ وحبِّه وحنانه وعنايته الخاصة بأموري وشؤوني ، ويشجِّعني ويمتِّعني بتوجيهاته السديدة ، جزاه الله خيرَ الجزاء وأفضله ، وأجزل له المثوبة الحسنى في الدنيا والآخرة .

كما أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى صاحب الفضيلة أستاذي الجليل الشيخ نور عالم خليل الأميني ـ حفظه الله ورعاه ـ الذي حلَّى جيد الكتاب بمقدمته الرائعة القيِّمة الضافية التي ـ في حد ذاتها ـ دراسة مستقلَّة شيِّقة غنيَّة زاخرةٌ بمعلومات قيِّمةٍ ومزايا هامَّةٍ عن العربية ، واستعراضٍ جميلٍ جامعٍ للجهود القديمة والحديثة المبذولة في العناية بها ، وإشارة إلى محاولات

إساءة وهدمٍ وتنكُّرٍ لها ، بالإضافة إلى إشادةٍ بمحتويات الكتاب وتشجيعٍ أبويٍ حانٍ لكاتبه الحقير الصغير .

ولا يسعني ـ تجاه كل ذلك ـ إلا أن أتضرَّع إلى الله العلي القدير بالدعاء ـ منه جل وعلا ـ أن يبارك في عمره وأعماله ، وينعم عليه بدوام الصحة والعافية ، ويبقيه خادماً للغة القرآن ، ومكافحاً مجاهداً مناضلاً في سبيلها ، ساقياً وَاحَتَها بجميع ما أوتي من مواهب وصلاحيات وقدرات فذَّة لا يعطاها إلا من خصَّه الله بفضله وكرمه .

ولا يفوتني أن أشكر الأخ العزيز محمد عمر ناظم ـ الطالب بالجامعة الإسلامية دار العلوم حيدر آباد ، الهند ـ الذي ساعدني في تبييض الكتاب صابراً محتسباً أجره عند الله جزاه الله خيراً ، وحقق به الأعمال المرجوة منه ، وجعله من الشباب الواعد ، وزاده علماً وفضلاً ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

تحريراً في :
العشرة الثانية
من رمضان المبارك ١٤٢٠هـ

محمد نعمان الدين الندوي
ندوة العلماء ـ لكناؤ ـ الهند

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

توطئة وتمهيد

سِرُّ تزويد الإنسان باللغة

لقد شرَّف الله سبحانه الإنسان وكرمه ﴿ ۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ [الإسراء : ٧٠] ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴾ [التين : ٤] فاصطفاه من دون خلقه أجمعين لخلافته في الأرض : ﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ ﴾ [البقرة : ١٥] ثم زوَّده باللغة ليضطلع بمهام الخلافة الإلهية ، ويحمل المسؤوليات والتكاليف : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة : ٣١] فبواسطة اللغات وصلت رسالات السماء إلى الأرض ، وبها تمكن الإنسان من تنظيم فكره وتطويره وتحسينه ، وبها تعارف بنو آدم وتخاطبوا فيما بينهم وتفاهموا .

أهمية اللغة للأمة :

ثم اللغة ليست أداة للتخاطب والتفاهم بين أفراد الأمة فحسب ، بل هي وعاء ثقافتها ولسان حالها ، وإحدى المقوِّمات الرئيسة التي تكوّن عقلية الأمة وفكرها وشخصيتها ،

وتحقق وحدتها ، وتترجم عن ملامحها ومعالمها ومشاعرها وخصائصها وحضارتها وأحوالها وأسرارها ودقائقها ، ووسيلة التعايش ، والسبيل إلى التقدم والازدهار . . ، ولعل المفكر الألماني : « فخته » عبّر عن ذلك بقوله :

« إنَّ اللغة هي الرابطة الحقيقية بين عالم الأجسام وعالم الأذهان » !![1].

فهي ـ اللغة ـ مظهر معبِّر عن حقيقة الأمة بكل ما فيها من أفكار وخصائص ومعتقدات وتاريخ ، وكلما دقَّت تراكيبها ، دلَّت على قدرات أهلها ، وكثرة مشتقاتها تدلُّ على ثرائها وسعتها .

من هنا . . . « فالعرب ولغتهم امتزاج حضاريّ حقيقي ، لا يفصل بينهما فاصل ، ولا يحول دون تفاعلهما حائل ، يثبت ذلك معتَقَدٌ ، ويوطده محيطٌ ، وتؤكده بيئةٌ .

واللغة العربية فيها صورة العرب كاملة ، منها تَعْرِف طباعهم ، وبها تَمِيزُ خلقهم ، ومن خلالها تَحكمُ على عاداتهم ، وتفهم تقاليدهم ، وتقدِّر اتجاهم ، هي ديوانٌ مفصَّل واضحٌ لكل ما يخصُّهم وعن كل ما يعنيهم ولأنها كذلك

---

(١) جريدة « الشرق الأوسط » : ص١٤ ـ العدد (٣٧٠٠) في ١٤ـ١ـ١٩٨٩ .

فقد اهتموا بها ، والتفتوا إليها ، وغاروا عليها ، لأنها تنقل أفكارهم صادقةً أمينةً بينهم وبين غيرهم كما يريدون ، وبالصفة التي يختارون »[1] .

* * *

(١) د . عبد العزيز الخويطر : « أهمية اللغة العربية » جريدة عكاظ .

المبحث الأول

خصائص اللغة العربية

إنَّ اللغـة العربية لغة فذةٌ فريدةٌ من نوعها ، سواءٌ أكان ذلك من حيث ولادتها وتكوُّنها ونشأتها ، أم من حيث مقوماتها ومكوناتها وعناصرها ، ومن حيث مبادئها وأسسها وقواعدها ، ومن حيث نواميسها وسننها وقوانينها ، ومن حيث خصائصها وسماتها ومميزاتها ، ومن حيث ـ بالتالي ـ فلسفتها وعلمها وفقهها ، وبذلك فإنها لا تشبه لغة من اللغات ، كما أنها لا تشبهها لغة من اللغات ، فهي نسيج وحدها بينها جميعاً[1] .

فإنَّها ـ العربية ـ ليست كأيِّ لغةٍ . . ، فهي اللغة التي يتخاطب بها أهل الجنة فيما بينهم ، وهي اللغة التي علَّمها الله آدم عليه السلام ، وهي اللغة التي نزل بها الوحي الإلهي الأخير على الرسول الخاتم سيدنا ونبينا محمد ﷺ ، فهي : « حاملة

---

(١) انظروا : إسماعيل العرفي : « اللغة العربية ، أم اللغات ولغة البشرية » ص١١ ـ بتصرف يسير ـ الطبعة الأولى ، دار الفكر بدمشق ١٤٠٦هـ .

الرسالة السماوية ، ومبلغة الوحي الإلهي ، ومعجزته الخالدة ، وإعجازه الأزلي : ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [فصلت : ٣] ، ناشرة الدين الحنيف ، وسفيرته إلى العالمين ، فاتحةُ دعوته ، ولسان شعائره ، جامعة الأمة ، وآصرة الملَّة ، واحدة موحدة ، خالدة خلود الكتاب المنزل بها ، محفوظة حفظ الوحي الناطق بها ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] مبدعة الحضارة العربية الإسلامية وحافظتها ، وراويتها بين الأجيال وذاكرتها على مر العصور ، لغة الإبداع العربي قبل الإسلام ، ولغة الإعجاز الإلهي بعده ، فهي المبدعة المعجزة ، حمَّلها الإسلام رسالته العالمية وأكسبتها العروبة قدرة التبليغ[١] .

* * *

---

(١) د . صالح الخرفي : « اللغة العربية هويتنا » ـ مجلة الفيصل ص٢٠ ، العدد (٢١٨) ، شعبان ١٤١٥هـ .

بيان خمس عشرة خصيصة
من خصائص العربية البارزة

فإنَّ اللغة العربية تمتاز بخصائص ومزايا كثيرة دون غيرها من اللغات ، وسنتحدث ـ فيما يلي وبإيجاز ـ عن خمس عشرة خصيصة من أبرز خصائصها .

١ ـ قدم العربية :

مِن أهمِّ ميزات اللغة العربية اليوم قدمها ، فهي تكاد تكون أقدم لغة حية مستعملة اليوم ، لأنَّ نصوصها المكتوبة تعود إلى أكثر من خمسة عشر قرناً خلت ، بينما لا يزيد عمر الإنجليزية أو الفرنسية أو الإسبانية على سبعة أو ثمانية قرون ، فإن أنظمة هذه اللغات الصوتية والصرفية والنحوية لم تكوّن إلا بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين .

ثم إنَّ العربية بقيت على امتداد تاريخها الطويل محافظة على وحدتها ، فلم تتصدَّع لتنقسم إلى لهجات على غرار ما حدث للاتينيَّة ، ولم يطرأ على أصواتها وأبنيتها وتراكيبها تبدُّلٌ يذكر ، ولم تنقسم ـ لذلك ـ إلى عربية قديمة وعربية

حديثة ، قد يستعصى القديم منها على فهم المحدثين[١] .

٢ ـ ٣ ـ العربية : لغة السَّعة والمرونة :

مِن أهمِّ خصائص العربية : السعة ، فهي لغة السعة والثراء والغنى ، ومن ثمرات سعة العربية أن الناظم أو الناثر ـ كما يقول ابن سنان ـ إذا حظر عليه موضع إيراد لفظة أو ضاقت عليه الألفاظ ، وكانت اللغة التي ينسج منها ذات ألفاظ كثيرة تقع موقع تلك اللفظة في المعنى ، أخذ ما يليق بالموضع من غير عنت ولا مشقة ، وهذا غير ممكن لولا السعة في كثرة الأسماء للمسمى الواحد[٢] . وذكر ابنُ سِنان الخَفَاجي أن البعض عدَّ أسماء السيف والأسد في العربية ، فكانت أوراقاً عدَّة ، وإذا كان للسيف والأسد أسماء عدة فليس ذلك مقصوراً بطبيعة الحال عليهما ، وإن كان هناك اختلاف بين اللغويين حول اعتبار هذه الكثرة من قبيل الأسماء أو الصفات ، وعلى كل فهي لا تخرج عن الدلالة على سعة هذه اللغة[٣] .

---

(١) من بحث الأستاذ إبراهيم بن مراد ، نقلا من المرجع السابق ص٢٥ .

(٢) سر الفصاحة : لابن سنان الخفاجي ، دار الكتب العلمية ، نقلا من مجلة المنهل ، العدد (٤٩٨) ، صفر ١٤١٣هـ ، ص١٣٥ .

(٣) د . عبد الجواد محمد محمد طبق : « أضواء على مكانة اللغة العربية وأبرز خصائصها » ـ مجلة « المنهل » ص١٣٥ ، العدد (٤٩٨) في صفر ١٤١٣هـ .

« فالعربيةُ جدٌّ غنية بثروة لغوية لا قدرة لأحد على أن يحصيها إحصاءً ، لأن هذه الثروة من الفخامة والسعة بحيث لا تسلس قيادها لمن يريد حصرها أو إحصاءها ، وإن أكثر مواد اللغة العربية غير مستعمل ، وكثير منه غير معروف ، وقد قال الكسائي : « قد درس من كلام العرب كثير » ، وحكى يونس بن حبيب البصري عن أبي عمرو أنه قال : « ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ولو جاءكم وافر لجاءكم علم وشعر كثير »[1] .

يحلو لنا أن نذكر هنا بيتاً من الشعر لامرىء القيس يبرز ثراء اللغة العربية وسعتها وغناها :

أفـاد وجـاد وسـاد وقـاد وذاد وعـاد وزاد وفـاض

ولا يدلُّ على مرونة اللغة العربية واتساعها وشمولها كثرة مفرداتها التي تعد بمئات الآلاف فحسب ، ولكن يدلُّ على ذلك أيضاً كثرة الروافد والطرائق التي تغذِّي اللغة العربية وتسمح لها بالتوليد والإضافات كالقياس والاشتقاق والنحت والتعريب وغيرها[2] .

---

(١) أحمد عبد الغفور عطار : مقدمة الصحاح ، ص٢٣ .

(٢) د . جابر قميحة : « العربية ومتطلبات العصر » مجلة « المنهل » ، صفر ١٤١٦هـ ، ص٦١ .

عدد الألفاظ العربية :

عددُ الألفاظ المستعملة من اللغة العربية خمسة ملايين وتسعة وتسعون ألفاً وأربعمئة لفظ ، من جملة ستة ملايين وستمئة وتسعة وتسعين ألفاً وأربعمئة لفظ[١] .

بينما نجد الفرنسية لا تحتوي إلا على /٢٥٠٠٠/ كلمة ، والإنجليزية على /١٠٠٠٠٠/ كلمة فقط ، وكفى ذلك دليلاً على ثراء اللغة العربية وعلى كونها أغنى اللغات فيما يخص المفردات[٢] .

الإمام الشافعي : العربية أكثر اللغات ألفاظاً :

يقول الإمامُ الشافعي ـ رحمه الله ـ عن غنى العربية : « لسان العربية أوسع الألسنة مذهباً ، وأكثرها ألفاظاً ، والعلم باللغة عند العرب كالعلم بالسنَّة عند أهل الفقه »[٣] .

العربية بحر زاخر :

« فاللغةُ العربية بحر زاخر ويعجُّ بالدرر ، ويصطخب

---

(١) د . كارم السيد غنيم : « اللغة العربية والصحوة العلمية الحديثة » ـ ص٤٣ ، مكتبة ابن سينا ، القاهرة .

(٢) أنور الجندي : الفصحى لغة القرآن .

(٣) عبد الله بن حمد العقيل : من قضايا اللغة العربية ، جريدة « الجزيرة » .

باللآلىء ، وكلما أبعدت في الغوص إلى أعماقه ، وجدت شعاباً من المرجان الثمين والكنوز المخبَّأة ، وما عليك إلا أن تقف متأنياً ، وتفحص بمجهرك ما تحت القشرة مما سوف يأتي بإشعاع نافذٍ ذي ألوانٍ بهيجة ، ولا غرو أن تكون اللغة العربية كذلك ، فهي وعاء الدين الحنيف ، حُفِظ جمالها بحفظه ، وبقي بريقها ببقائه ، واحتلت منزلتُها من القلوب منزلتَه في النفوس ومكانَه في القلوب ، واختلاطه بدم المؤمن قبولاً ومتعةً وطاعةً وأخذاً بما فيه ، وعيشاً في حدود ما أمر به وما نهى عنه »[1] .

٤ ـ الاشتقاق :

الاشتقاقُ من أغرب كلام العرب ، ومن أبرز سمات وخصائص هذه اللغة ، وهو ثابت عن الله تعالى ، بنقل العدول عن رسول الله ﷺ ، كما جاء في مسند الإمام أحمد : « يقول الله : أنا الرحمن ، خلقت الرحم ، وشققت لها من اسمي » .

فالاشتقاقُ من أبرز مزايا اللغة العربية ، وعن طريقه اتسعت لجميع مصطلحات الحضارة القديمة بما فيها من علوم

---

(١) د . عبد العزيز عبد الله الخويطر : « اللغة العربية بحر زاخر » مجلة « الداعي » الصادرة عن الجامعة الإسلامية دار العلوم بمدينة « ديوبند » بالهند ، ص٣٦ ، العدد (٥) السنة ١٨ ـ في رجب ١٤١٥هـ .

وفنــون وآداب ، كمــا أنــه أتــاح لهــا القــدرة علــى وضــع المصطلحات الحديثة لجميع فروع المعرفة ، وذلك عن طريق الأخذ من الأصل الواحد عدة فروع ، ينفرد كل فرعٍ بدلالةٍ خاصةٍ مع اشتراكه مع الأصل وبقية الفروع الأخرى في أصل الدلالة[١] .

وعن قدرة العربية الكبيرة على اشتقاق الألفاظ وظواهرها الصرفيَّة العجيبة يقول إرفنج هقرهىل « إن هذه القوَّة (في العربية) في اشتقاق الألفاظ تقودنا إلى هذه الثروة المدهشة من المفردات التي نواجهها حين نتعلم العربية ، إن الجذور الصرفيَّة العربية الكثيرة جداً بالإضافة إلى الموازين الصرفية الكثيرة جداً أيضاً تجعل العربية من أوسع وأعظم اللغات في العالم ، وإذا أخذنا هذه الخاصِّيَّة فقط من بين جميع خاصِّيَّات العربية بعين الاعتبار ، فإن العربية جديرة بأن نسعى إليها ونتعلَّمها ، وإنها واحدة من اللغات الكلاسيكيَّة العظيمة ، وتقف جنباً إلى جنبٍ مع الإغريقيَّة وغيرها[٢] .

٥ ـ مزية المترادفات :

عقد الدكتورُ عثمان أمين فصلاً كاملاً في كتابه : « فلسفة

---

(١) مجلة « المنهل » العدد (٤٩٨) في صفر ١٤١٣هـ ، ص١٣٦ـ١٣٧ .
(٢) هقرهىلز فزاخثزاشقي هس شقشلاهؤ؟ ١٩٥٧-ح٢٨٩ز

اللغة العربية » ، يؤكد فيه أن العربية تؤمن بالمعنى ، وتختار له اللفظ المناسب ، وعلى حد تعبيره : تؤثر الجَوَّانيَّة على البَرَّانيَّة ، والتفكير الواعي يتصوره العرب صادراً من هذه الجوانية ، ألسنا نراهم يعبِّرون بألفاظ القلب والحِجَا والنُّهي أكثر مما يعبِّرون عنه بألفاظ المخ والدماغ والرأس ، ويفرِّقون بين القرابة والقربى ، وإحداهما لحمة الدم ، والأخرى رابطة الروح .

ومن المترادفات ألفاظٌ تبدو فيها خاصِّيَّة لغويةٌ رائعةٌ هي : إظهار ألوان المعاني وظلالها ، وهي ميزة تكاد تنفرد بها اللغة العربية ، وتعدُّ من خصائصها التي تتجلَّى في ألفاظٍ مترادفةٍ أحياناً ، ويسميها الدكتور عثمان أمين « خاصية التكوين الداخلي » الذي كأنما يرسم للماهية الواحدة بالأطياف والظلال صوراً ذهنيةً متعددةً تغنينا باللفظ الواحد عن عبارات مطوَّلة تحدِّد بها المعنى المقصود .

وتظهر تلك الميزةُ في كثير من الألفاظ الدالة على الشيء منظوراً إليه في مختلف درجاته وأحواله ومتفاوت صوره وألوانه ، فالظمأ ، والصدى ، والأوام ، والهُيام كلمات تدل على العطش ، إلا أن كل واحد منها يصور درجة من درجاته ، فأنت تعطش إذا أحسست بحاجة إلى الماء ، ثم يشتد بك العطش فتظمأ ، ويشتد بك الظمأ فتصدى ، ويشتد بك الصدى

فتؤوم ، ويشتد بك الأوام فتهيم ، وإذا قلت : إن فلاناً عطشان فقد أردت أنه بحاجة إلى جرعات من الماء لا يضيره أن تبطىء عليه ، أما إذا قلت : إنه هائم ، فقد علم السامع أن الظمأ برّح به حتى كاد يقتله[١] .

٦ ـ الجمع بين الضدَّين :

ومِن خصائص العربية ـ أيضاً ـ كما يقول الدكتور عبد الجواد : تأثير السياق على الدلالة المعجمية للكلمة ، حيث إنه ليكاد يقلب معناها إلى ضدِّه المعروف ، ومن ذلك لفظ (عزِّر) مثلاً . . فالمعروف أن التعزير عقوبة دون الحد لكننا نجد هذا اللفظ يدلُّ على التبجيل والتعظيم في قوله سبحانه : ﴿ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ [الفتح : ٩] وقوله تعالى : ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ﴾ [الأعراف : ١٥٧][٢] .

---

(١) د. عبد الغفار حامد هلال : « أصالة العربية وجدارتها بالتفوق في الدلالة اللغوية » نقلاً من مجلة الفيصل ، العدد (٢١٨) في شعبان ١٤١٥هـ ، ص٣٢ .

(٢) مجلة « المنهل » ص١٣٦ ، العدد (٤٩٨) في صفر ١٤١٣هـ .

٧ ـ تفرُّدَ العربية ببعض الحروف الخاصَّة :

كما تتميَّزُ العربية بتفرُّدها ببعض الحروف كحرف الضاد وغيره ، وتأليف الحروف في الكلمة الواحدة بمعايير معيَّنة ، واعتبارات خاصَّة كقُرْب المخارج أو بُعْدِها ، وطول الكلمة أو قِصَرها ، وابتذال الكلمة أو سموِّها ، وقد أفاض الحديث في ذلك كل من ابن سنان الخفاجي في « سر الفصاحة » ، وابن الأثير في « المثل السائر » ، والعلوي في « الطراز »[١] .

٨ ـ تميز العربية بدقة الفروق اللغوية :

مِن أهمِّ ما تمتاز به العربية من غيرها من اللغات : الفروق اللغوية الدقيقة بين الألفاظ والكلمات التي يخيَّل للكثر أنها مترادفة ، وقد تناول أبو هلال العسكري في كتاب « الفروق اللغوية » هذه المزيَّة اللغوية العربية الخاصة بالشرح والبيان وضَرْبِ المثال ، ومنه نذكر بعض الفروق اللغوية بين بعض الكلمات العربية فيما يلي :

١ ـ الفرق بين الصفة والنعت :

النعتُ لما يتغيَّر من الصفات ، والصفة لما يتغيَّر ولما لا يتغيَّر ، فالصفة أعمُّ من النعت .

---

(١) المرجع السابق .

ب ـ الفرق بين الحقيقة والحق :

الحقيقةُ : ما وضع من القول موضعه في أصل اللغة : حسناً كان أو قبيحاً ، والحق : ما وضع موضعه من الحكمة ، فلا يكون إلا حسناً .

ج ـ الفرق بين القريحة والطبيعة :

إنَّ الطبيعة ما طبع عليه الإنسان أي خُلِقَ ، والقريحة ما خرج عن الطبيعة من غير تكلُّف .

د ـ الفرق بين العلم والمعرفة :

المعرفةُ أخَصُّ من العلم ، لأنها علم بعين الشيء مفصلاً عما سواه ، والعلم يكون مجملاً ومفصلاً[١] .

٩ ـ سهولة العربية قراءةً وكتابةً :

ومِن خصائص العربية ـ أيضاً ـ أنها لغةٌ سهلةٌ كتابةً وقراءةً، فهي تقرأ كما تكتب ، وتكتب كما تملى ، إلا بعض القواعد القليلة التي لا يحتفل بها عند المقارنة بخلاف اللغات الأخرى كالإنجليزية والفرنسية والألمانية[٢] .

---

(١) الفروق اللغوية : لأبي هلال العسكري ، تحقيق حسام الدين القدسي ، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

(٢) انظر : أنور الجندي : « الفصحى لغة القرآن » .

١٠ ـ العربية لغة ناضجة :

تعتبرُ اللغة العربية لغةً ناضجةً لغوياً ، وينطبق هذا النضج على نحوها ومفرداتها وتركيباتها وسماتها الدلاليَّة وتأثيرها الملموس على الكثير من لغات العالم خاصة : اللغات الساميَّة ، ويوضح الأستاذ عبد الله مجدّدي النضج النحويَّ والتركيبيَّ في العربية بضرب المثال الآتي قائلاً :

إنَّ نَظْم الإعراب هو من أهم النظم اللغوية التي تميز العربية من غيرها من اللغات ، فقد أعطى هذا النظام الدقيق مرونةً خارقة للمتكلِّمين بالعربية يجعلهم غير ملتزمين بترتيبٍ عقيمٍ للكلمات يدل على الوظائف النحوية لها .

بينما تلزم الكثيرات من اللغات متكلِّميها بترتيب معيَّن للكلمات يميز الوظائف النحويَّة فيها ، ويضيع هذا التمييز إذا اختل هذا الترتيب ، فالإنجليزية ـ مثلاً ـ تتبع ترتيب : فاعل ـ فعل ـ مفعول ، أو يشار إليه بـ : سرح ، فإذا أردت أن تقول : (أكل زيد طعاماً) يجب أن يكون الترتيب : (زيد أكل طعاماً) ولا يجوز أن تقول (أكل زيد طعاماً) ولا : (طعاماً أكل زيد) . . . بينما يجوز ذلك أن تقول كل ذلك بالعربية ، وذلك لوجود علامات الإعراب التي تُلحق بأواخر الكلمات ، وتُميِّز الفعل من الفاعل من المفعول ، ونظام الإعراب هذا

ـ بكل المرونة التي فيه ـ دليلٌ صغيرٌ جداً على فكرة النضج التي نتحدَّث عنها[١] .

١١ ـ العربية لغة التغليب والالتفات :

ومِن أبرَزِ ما انفردت به العربية أيضاً ، وتشعَّبت أسراره ودقائقه : التغليب والالتفات ، فنجد في التغليب هذه المثنيات : الولدان ـ القمران ـ المشرقان ـ ومنه في غير التثنية : تغليب المخاطب على الغائب في قوله جل شأنه : ﴿ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴾ [الإسراء : ٦٣] ومن أساليب الالتفات : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ [يونس : ٢٢] بدلاً من « جرين بكم » وقول عنترة في عبلة (في المعلقة) :

حلَّت بأرض الزائرين فأصبحت عسراً على طلابك ابنة مخرم

بدلاً من (طلابها)[٢] .

١٢ ـ العربية لغة الحكمة والبيان :

العربيةُ لغةُ البيان والحكمة ، فقد قيل : إذا أردت أن

(١) « مجلة الدعوة » ، الرياض ، ص٣٠ ، ٣١ ، ٢٧/ربيع الأول ١٤١٣هـ .

(٢) « مجلة المنهل » ص١٣٥ ، العدد (٤٩٨) في صفر ١٤١٣هـ .

تخاطب كلبك فخاطبه باللغة الألمانية ، وإذا أردت أن تخاطب حصانك فخاطبه باللغة الإنجليزية ، وإذا أردت تخاطب زوجتك فخاطبها باللغة الفرنسية ، وإذا أردت أن تخاطب فيلسوفاً أو حكيماً فخاطبه باللغة العربية[1] .

ونُقِل عن الفارابي ـ رحمه الله ـ : أن هذا اللسان كلام أهل الجنة ، وهو المنزَّه بين أهل الألسنة عن كل نقيصة ، والمعلَّى من كل خسيسةٍ ، ولذلك كانت هذه اللغة سيِّدة اللغات كمالاً وجمالاً وقوةً ومرونةً وحيويةً وقلباً وقالباً[2] .

١٣ ـ فضل العربية في تأليف قلوب الناطقين بها :

للعربية فضلٌ كبيرٌ في تأليف الناطقين بها ، وتقريب مشاعرهم وتجاذب وجدانهم مهما اختلفت أو تباعدت السياسات العليا لدولهم ، فهذا معروف الرصافي الشاعر العراقي المعروف يوجه رسالة شعرية إلى الشعب التونسي على إثر خلاف سياسي وقع بين الدولتين ، فيقول :

أتونس إنَّ في بغداد قوماً ترفُّ قلوبهم لكِ بالودادِ

---

(١) مجلة « اليمامة » ـ العدد (١٣٢٠) ٢٣/ ربيع الأول ١٣١٥هـ .

(٢) السيد محمد صديق القنوجي : « البلغة في أصول اللغة » ص ١٩٦ ، ط١ ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م ، تحقيق نذير محمد مكتبي ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت .

ويجمعهــم وإيــاكِ انتســابٌ إلى من خصَّ منطقها بضادِ
فنحن على الحقيقة أهل قربى وإن قضت السياسة بالبعاد[1]

١٤ ـ تأثير العربية في اللغات الأخرى :

أمَّا تأثير العربية في غيرها من اللغات فحدِّث عن البحر ولا حرج ! فمن مظاهر تأثيرها في اللغات الأخرى أن كثيراً من اللغات ـ مثل الأردية ، والبنجابية ، والبشتو ، والماليزية ، والكانوري ، والهوسا ، وفييل (في السنغال) ، تستعمل الرسم العربي للحروف في كتابتها ، كما أن العبرية بها آلاف الكلمات العربية التي تنطق باختلافات طفيفة عن نطقها العربي، كما أن للعربية تأثيرها الكبير في اللغات الأوربية، ففي الأسبانية مثلاً يوجد ما يربو عن (٦٥٠٠) كلمة من أصل عربي .

كما أنَّ معظم الكلمات الإسبانية المبدوءة بـ : « أل » هي من أصل عربي ، ومن المعروف أن كثيراً من المصطلحات العلمية ، الأوروبية في علومٍ كثيرةٍ هي من أصولٍ عربيةٍ ، فقد وضعها العرب وبقيت في اللغات الأوروبية دون أن يكون لها مرادفات لاتينية أو إسبانية[2] .

---

(١) مجلة « المنهل » ، العدد (٤٩٨) صفر ١٤١٣هـ ، ص١٣٣ .

(٢) رشدي طعيمة : « تعليم العربية لغير الناطقين بها » ، جامعة أم القرى ١٤٠٢هـ .

١٥ ـ الخصيصة الكبرى والشرف الأعظم للغة العربية :

لقد حَظِيت اللغةُ العربية بالميزة الكبرى من بين سائر لغات العالم ، الميزة التي استحقت بها الصدارة والخلود والصمود والشرف الباقي إلى يوم القيامة وبلغت بها أوج مجدها وارتفعت إلى أعلى الذرا ، وهي أن الله سبحانه وتعالى اصطفى هذه اللغة ـ لما تتمتع به من خصائص وسمات فريدة ذُكِر بعضها فيما مضى من الكلام ـ لتكون وعاءً لكتابه الأخير الذي أنزله على سيدنا ونبينا محمد ﷺ قرآناً عربياً : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف : ٢] ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء : ١٩٣ ـ ١٩٥] .

فمِن هنا . . : « يعتقد المسلمون بحق أن لغتهم العربية جزء لا ينفكُّ من حقيقة الإسلام ، لأنها كانت ترجماناً لوحي الله ، ولغةً لكتابه ، ومعجزةً لرسوله ، ولساناً لدعوته ، ثم هذَّبها النبي الكريم بحديثه ، ونشرها الدين بانتشاره ، وخلَّدها القرآن بخلوده ، فالقرآن لا يسمَّى قرآناً إلا منها ، والصلاة لا تكون صلاةً إلا بها »[1] .

---

(١) أنور الجندي : « الفصحى لغة القرآن » .

ومِن هنا ـ أيضاً ـ تنبع الأهمية الكبرى للعربية . . الأهمية الدينية والثقافية والتاريخية . . . ، فهي العربية ـ مفتاح كنوز الكتاب والسنة ، والمدخل إلى فهم التراث الإسلامي العظيم ، وهي التي حفظت روائع حضارتنا الإسلامية الزاهرة .

اللغة العربية لغة خالدة خلود القرآن الكريم :

ومِن هنا . . . ـ أيضاً ـ تكتسب العربية خلودها وبقاءها إلى قيام الساعة ، وذلك لكونها لغة القرآن الكريم ، الذي تكفَّل الله بحفظه وتخليـده : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] .

ولعلَّه يجدر بنا ـ هنا ـ أن نمتع القراء بما قاله أمير الشعراء أحمد شوقي وهو يتحدَّث عن اختيار الله سبحانه للُّغة العربية وعاءً لوحيه الكريم ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه :

حتى حباه الله بالجزيل   واختاره للوحي والتنزيل
شريعة فجرها بحران   بالعلم والحكمة ، يذخران
طام من الوحي فرات المشرع   في زاخر من الحديث مترع

وما أحسَنَ ما قاله الأستاذ عبد الغفور عطَّار ـ صاحب مقدمة الصحاح ـ بهذا الصدد وأجدره بأن نتحف القراء بذلك :

« لقد قيل كثيراً : إنَّ اللغة العربية بقيت لأنها لغة القرآن الكريم ، وهو قولٌ صحيحٌ لا ريب فيه ، ولكن القرآن الكريم إنما أبقى اللغة لأن الإسلام دين الإنسانية قاطبة ، وليس بالدين المقصور على شعبٍ أو قبيلٍ ، وقد ماتت العبرية وهي لغة دينية أو لغة كتاب يدين به قومه ويحسبون أنهم وحدهم المخصوصون بالخطاب من عند الله ، ولم تمُتْ العبرية إلا لأنها فقدت المرونة التي تجعلها لغة إنسانية ، وتخرجها من حظيرة العصبيَّة الضيِّقة بحيث وضعها أبناؤها منذ قرون .

إنَّ هذه الفضيلة الإنسانية التي لا تفرق بين العربيّ والأعجميّ ، ولابين القرشيّ والحبشيّ لهي التي أنهضت لخدمة الله أناساً من الأعاجم غاروا عليها من حيف الأعجمية ، أي أنهم غاروا عليها من لغة أمهاتهم وآبائهم ، لأنها لغتهم على المساواة بينهم وبين جميع المؤمنين بالقرآن الكريم كتاب الإسلام ، ولو كان هذا الكتاب « عصبياً » لا يشرك في الدين أحداً غير أبناء لغة من اللغات لما جاءت الغيرة عليه من الأعاجم كما جاءت من أبناء قحطان وعدنان »[١] .

أمدَّ القرآن الكريم العربية بطاقات تعبيريَّة جديدة :

كما أنَّ نزول القرآن بهذه اللغة أكسبها طاقات تعبيرية

---

(١) أحمد عبد الغفور عطار : مقدمة « الصحاح » ، ص٧ .

جديدة ، ونظماً غير مألوف عند العرب لم تصل إليه بلاغتهم ، ومـن هنـا . . كـان إعجـازه البـلاغـي الـذي انقطعـت دونـه الأعناق ، وقصرت عن مطاولته الهامات[١] .

ومن أثر نزول القرآن بالعربية ـ أيضاً ـ أنه وصل بين أبناء الأمة الواحدة بهذه اللغة على مختلف الأجيال ، ولهذا نفهم كلام العرب قبل مئات القرون ، بينما الفرنسيون والإنجليز وغيرهم لا يستطيعون أن يفهموا ما كتب قبل أربعمئة سنة إلا بجهد جهيد ، وبالاستعانة بالقواميس لحل غموض اللغة التي يسمونها الكلاسيكية أو القديمة بعد أن تغيرت قواعدها على عكس العربية[٢] .

* * *

(١) مجلة « المنهل » ، ص١٣٢ ، (العدد ٤٩٨) صفر ١٤١٣هـ .

(٢) د . كارم السيد غنيم : « اللغة العربية والصحوة العلمية الحديثة » ص٤١ ـ ٤٢ ، مكتبة ابن سينا ، القاهرة .

المبحث الثاني

الصلة بين العربية والعلوم الإنسانية

إنَّ نزول القرآن الكريم باللغة العربية أعطاها صبغةً دينيةً ليست لغيرها من اللغات التي لا تعدُو أن تكون وسيلة تفاهمٍ وتخاطبٍ بين الشعوب والأمم ، فاللغة العربية لغة القرآن الكريم والحديث الشريف وما انبثق عنهما من علوم جليلة وتراثٍ إسلاميٍّ خالد لا يمكن فهمه إلا بمعرفة اللغة العربية ، فهناك صلةٌ كبيرةٌ وارتباطٌ وثيقٌ بين العربية وبين علوم الكتاب والسنة وتراث المسلمين العظيم ، و« منذ أربعة عشر قرناً من الزمان وحتى يومنا هذا ، واللغة العربية مسايرة لهذا التراث الضخم الذي خلّفه لنا علماء الإسلام ، فهم طيلة هذه الفترة ، وهم يؤلفون ، يستنبطون ويحلّلون ويناقشون ، فقدَّموا لنا تراثاً ضخماً قَلَّما توفَّر مثله لأمة غير الأمة الإسلامية ، فاللغة العربية هي التي حفظت تراثنا ودونت حضارتنا العظيمة ، وعلومنا النافعة وآدابنا الرفيعة وفنوننا الجميلة[١] .

---

(١) بتصرف يسير من بحث آل حزمان الغامدية المنشور في مجلة « اليمامة »=

فمِن هذا المنطلق : العناية بالعربية من صميم العناية بفهم الدين ، وقد أوجب العلماء العنايةَ بالعربية ، وتعلُّمها وبذل غاية الجهد فيها على المسلمين .

* * *

= العدد (١٣٢٠هـ) .

أقوالٌ للصحابة والأئمة الأعلام
في التأكيد على تعلُّم العربية

ولقد كانت دراسةُ اللغة العربية عند الأقدمين مرتبطةً بالعامل الديني ، ونتيجة لهذا الارتباط الوثيق ، فقد خلفت العصور الإسلامية ، على امتداد التاريخ اهتماماً كبيراً بلغة القرآن سواءً فيما يتصل برصد مروياتها من الآثار الأدبية من شعر ونثر ، أو فيما يتصل بإحصاء مفرداتها وتسجيل أوابدها وغرائبها في المعجمات والقواميس اللغوية ، أو فيما يتصل باستنباط القواعد والأسس التي تعنى بسلامتها والمحافظة على أصولها الموروثة ، ووضع الدراسات اللغوية الخاصة باكتناه أسرارها والكشف عن خصائصها ومميزاتها[(١)] .

فمِن هذا المنطلق . . منطلق العامل الديني ، والارتباط الوثيق بين العربية وبين علوم الكتاب والسنة نرى العلماء

---

(١) انظروا : الدكور حمد بن ناصر الدخيل : « مقالات وآراء في اللغة العربية » ، ص٥٣ و٥٤ ، الطبعة الأولى ، دار الشبل بالرياض ١٤١٥هـ .

أوجبوا تعلم اللغة العربية على المسلم حتى يفهم مقاصد الكتاب والسنة ، ونذكر ـ فيما يلي ـ آراء بعض علماء الأمة في وجوب تعلُّم العربية لفهم الدين .

الصلة بين العربية وبين التفسير والحديث الشريف :

لقد أوجَبَ شيخُ الإسلام ابن تيمية على المسلم تعلُّم اللغة العربية حيث يقول : « إن نفس اللغة العربية من الدين ، ومعرفتها فرض واجب ، وإن فهم الكتاب والسنة فرض ، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب »[١] .

وكذلك قال الإمامُ الشَّاطبيُّ في كتابيه : « الاعتصام » و« الموافقات » :

ولم يكتف الإمامُ الشافعي ـ رحمه الله ـ بإيجاب تعلُّم العربية فحسب بل أوجب بذل أقصى ما في المسلم من وسعٍ وطاقة ، حيث يقول : « فعلى كل مسلم أن يتعلَّم من لسانِ العرب ما بلغه جهده حتى يشهد به أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، ويتلو به كتاب الله ، وينطق فيما افترض عليه

---

(١) « اقتضاء الصراط المستقيم » ، ص٢٠٧ ، مكتبة أنصار السنة المحمدية ، لاهور .

من التكبير ، وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك »[1] .

ومعلومٌ أنَّ الإمام الشافعي ـ الذي اعتمد ـ في وضعه للأصول المعتمدة في فهم النصوص ـ منطق اللغة العربية[2] ـ أرجع الاختلاف إلى ترك الناس لسان العرب ، فيقول :

« ما جهل الناسُ ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب وميلهم إلى لسان أرسطوطاليس ، ولم ينزل القرآن ولا أتت السنَّة إلا على مصطلح العرب ومذاهبهم في المحاورة والتخاطب والاحتجاج والاستدلال لا على مصطلح اليونان ، ولكلِّ قومٍ لغةٌ واصطلاح[3] » .

ويروى عن الإمام مالك بن أنس أنه قال : « لا أوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالمٍ بلغات العرب إلا جعلته نكالاً »[4] .

---

(١) الرسالة : للإمام الشافعي ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، نقلاً من مجلة « المنهل » ص١٠٠ ، العدد (٥٥٨) في صفر ١٤٢٠هـ .

(٢) د . محمد السيد علي بلاسي : إبعاد الحرب عن اللغة العربية ، مجلة المنهل ص١٠١ ، العدد (٥٥٨) في صفر ١٤٢٠هـ .

(٣) انظروا : العلم باللغة العربية ضرورة عقدية للدكتور عباس أرحيلة ، ص٨٧ ، و : « صوت الكلام عن فن المنطق والكلام » للسيوطي ، شرح وتعليق الدكتور سامي النشار ، ص٤٥ ، الطبعة الأولى ، السعادة ، ١٩٤٧ ، نقلاً من مجلة المنهل العدد (٥٥٨) ، صفر ١٤٢٠هـ ، ص١٠١ .

(٤) انظروا : « الإتقان » في علوم القرآن للسيوطي الجزء الثاني ، =

ويروى عن مجاهد أنه قال :

« لا يحلُّ لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب »[1] .

وكتب عمرُ بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري :

« أمَّا بعد! فتفقَّهوا في السنَّة ، وتفقَّهوا في العربية ، وأعربوا القرآن فإنه عربي » ، ويقول أيضاً :

« تعلَّموا العربية ، فإنها من دينكم وتعلَّموا الفرائض فإنها من دينكم » .

فهذا الذي أمر به عمر ـ من فقه العربية وفقه الشريعة ـ يجمع ما يحتاج إليه لأن الدين فيه فقه أقوال وأعمال ، ففقه العربية هو الطريق إلى فقه أقواله ، وفقه السنة هو الطريق إلى فقه أعماله[2] .

وبَيَّنَ السُّيوطي (ت٩١١هـ) في الإتقان شروط من يتصدَّى لتفسير القرآن الكريم ، فأوصلها إلى خمسة عشر شرطاً ، ومن أهمها : معرفة اللغة العربية ، يقول السيوطي :

= ص٢٢٩ ، مطبعة مصطفى بابي الحلبي ، مصر .

(١) المرجع السابق .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم : لابن تيمية ، ص٢٠٧ ، طبع أنصار السنة المحمدية ، لاهور .

« يجوز تفسيرُ القرآن الكريم لمن كان جامعاً للعلوم التي يحتاج إليها المفسر ، وهي خمسة عشر علماً :

أحدها : اللغةُ ، لأن بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع .

الثاني : النحو ، لأن المعنى يتغيَّر ويختلف باختلاف الإعراب فلابدَّ من اعتباره .

الثالث : التصريف ، لأنه به تعرف الأبنية والصيغ[١] .

إنَّ عدم التمكُّن من العربية يؤدي إلى الخلط في الدين عند أهل البدع كما ذكر ذلك ابن تيمية ، يقول :

« لا بُدَّ في تفسير القرآن والحديث من أن يعرف ما يدل على مراد الله ورسوله من الألفاظ وكيف يفهم كلامه ، ومعرفة العربية التي خوطبنا بها مما يعين على أن نفقه مراد الله ورسوله بكلامه ، وكذلك ضلال أهل البدع كان لهذا السبب ، فإنهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله على ما يدعون إليه أنه دالٌّ عليه ولا يكون الأمر كذلك »[٢] .

---

(١) الإتقان في علوم القرآن : ص٢٣١ ، مطبعة مصطفى بابي الحلبي ، مصر .

(٢) « الإيمان » لابن تيمية ص(١١١) نقلاً من مجلة المنهل ، العدد (٥٥٨) ص١٠١ .

وقد شدَّدَ الجاحظُ ـ أيضاً ـ في المسألة حيث يعتبر الخوض في الكتاب والسنة ـ بدون معرفة باللغة العربية ـ هلاكاً وإهلاكاً . . فيقول :

« للعرب أمثالٌ واشتقاقات وأبنية ، وموضع كلام يدل عندهم على معانيهم وإرادتهم . . . فمن لم يعرفها جهل تأويل الكتاب والسنة والشاهد والمثل ، فإذا نظر في الكلام وفي ضروب من العلم، وليس هو من أهل الشأن هلك وأهلك »[١] .

الصلة بين العربية وبين الفقه والفتيا :

والآن نذكر أقوالَ بعض العلماء الكبار الدالَّة على ضرورة معرفة العربية في مجال الفقه والفتيا ، يقول الآمدي :

« وأمَّا مامنه استمداد علم أصول الفقه ، فعلم الكلام وعلم العربية والأحكام الشرعية . . ، فأما علم العربية فلتوقف دلالات الأدلة اللفظية من الكتاب والسنة وأقوال أهل الحل والعقد من الأمة على معرفة موضوعاتها من جهة الحقيقة والمجاز والعموم والخصوص والإطلاق وغيره مما لا يعرف في غير علم العربية[٢] .

---

(١) كتاب « الحيوان » لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون (١/ ١٥٤) ، الطبعة الثانية .

(٢) انظر مجلة « الحرس الوطني » ، ص١٠٣ ، صفر ١٤١٥هـ .

ويقول الأسْنَوِي :

« إنَّ عِلْمَ الحلال والحرام الذي به صلاح الدنيا والآخرة مستمد من علم أصول الفقه وعلم العربية ، فأما العربية فلأن أدلته ـ من الكتاب والسنة ـ عربية ، وحينئذ يتوقف فهم تلك الأدلة على فهمها ، والعلم بمدلولها على علمها »[1] .

ونظراً إلى أهمية معرفة العربية للمشتغلين بالفقه والفتيا وضع أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ) باباً مستقلاً في كتابه : « الصاحبي » تحت عنوان : « باب القول في حاجة أهل الفقه والفتيا إلى معرفة اللغة العربية » يقول فيه :

« إنَّ العلم بلغة العرب واجب على كل متعلِّم من العلم بالقرآن والسنة والفتيا بسبب ، حيث لا غناء بأحد منهم عنه ، وذلك أن القرآن نازل بلغة العرب ، ورسول الله ـ ﷺ ـ عربي ، فمن أراد معرفة ما في كتاب الله ـ جلَّ وعزَّ ـ ومافي سنة رسول الله ﷺ من كل كلمة غريبة ، أو نظم عجيب لم يجد من العلم باللغة بدَّاً »[2] .

---

(١) المرجع السابق .

(٢) الصاحبي لأحمد بن فارس ، تحقيق أحمد صفر ، ص٥٠ ، الطبعة الأولى ، عيسى البابي الحلبي ، ١٩٧٧م ، نقلاً من بحث الدكتور =

كما عقد أبو الفتح عثمان بن جِنِّي (ت٣٩٢هـ) في كتابه « الخصائص » فصلاً بعنوان : « باب فيما يؤمنه علم العربية من الاعتقادات الدينية « طلب فيه من علماء الشريعة أن يفهموا الألفاظ العربية واستعمالاتها ، وأن يعرفوا مجازاتها ، لأن الجهل بها يؤدي إلى ضلال بعيد ، وضرب أمثلة للجهل باللغة الذي أوقع بعض المفسرين في الخطأ في تأويل بعض الآيات والأحاديث الشريفة .

ويؤكِّد ابنُ خلدون على معرفة العربية للعلم بالشريعة ، فيقول :

« إنَّ معرفتها ضروريةٌ على أهل الشريعة ، إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة ، وهي لغة العرب ، ونَقَلتها من الصحابة والتابعين عرب ، وشَرحُ مشكلاتها من لغاتهم ، فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة »[1] .

قصة أبي يوسف والكِسَائي والعربية :

ولعلَّ ذكر حوار ممتعٍ جرى بين الإمام أبي يوسف وعالم

= محمد بلاسي المنشور في مجلة «المنهل»، العدد (٥٥٨) في صفر ١٤٢٠هـ.

(١) مقدمة ابن خلدون : تحقيق : د . علي عبد الواحد وافي ، (٣/ ٢٢٤) ، ط : ٣٠ ، دار نهضة مصر للطبع والنشر .

العربية الكبير الشهير الكسائي لا يخلو من الفائدة ، حيث يُلقي المزيد من الضوء على ضرورة معرفة العربية والبراعة فيها لكلِّ من يتصدى للفقه والإفتاء وقد جرى هذا الحوار أمام الخليفة هارون الرشيد ، وخلاصة القصة أن أبا يوسف كان يغيظ الكسائي كثيراً بالتهوين من شأن العربية ، فأراد الكسائي أن يبين أهميتها وضرورتها فيما هو مجال أبي يوسف وصميم اختصاصه وهو الفقه والفتيا ، فطرح عليه الكسائي هذا السؤال قائلاً : ما رأيك يا أبا يوسف في رجلين ؛ قال أحدهما : (أنا قاتلُ غلامِك) بإضافة « قاتل » إلى « الغلام » ، وقال لك الآخر : (أنا قاتِلٌ غلامَكَ) بتنوين « قاتل » ونصب « الغلام » به ، أيهما كنت تقتص منه ؟ فقال أبو يوسف : من كليهما ، فقال الكسائي أخطأت ! القاتل هو الأول ، أما الثاني فإنه يتوعَّد ولم يقتل بعد !

هنالك سلَّم أبو يوسف للكسائي بتمكُّنه من العربية ، وزادته الحادثة ـ وحوادث أخرى تناقلتها الكتب فيما بين هذين العالِمَين الجليلين ـ علماً على علمه ويقيناً على يقينه بأهمية اللغة العربية[١] .

فغايةُ القول : إن فهم النصوص هو منطلق البحث عن

---

(١) د . محمد بن خالد الفاضل : المعاجم العربية والنشأة والترتيب ، مجلة « الحرس الوطني » ، عدد صفر ١٤١٣هـ ، ص١٠٢ .

الأدلَّة الشرعية ، والفهم موكول إلى المعرفة الدقيقة باللغة وبتصاريف القول فيها ، إذ لا يتأتي استنباط حكم لا تقتضيه طبيعة اللغة .

فالمعنى الشرعي يؤخذ من الدليل اللفظي ، وقد يستدل عليه بغير اللفظ ولكن يظل اللفظ دالاً على المعنى التابع لقصد المتكلم ، فاللفظ في تصور الأصولي هو دليل الحكم على صحة الفكر أو خطئه ، إذ اللغة ترجمة لما يجري في الفكر ، من هنا . . أخذت اللغة عند الأصوليين منحىً علمياً أصبحت به وسيلة لاستنباط الحكم تتجه إلى الاصطلاح وتخاطب العقل[1] .

ولعلَّنا لسنا في المزيد من الحاجة إلى إطالة في الكلام في الموضوع فقد اتضحت أهمية اللغة العربية وضرورة معرفتها بل والتمكُّن منها والتخصُّص فيها لمعرفة معاني الكتاب والسنَّة ، كما رأينا في أقوال كبار الصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ وعلماء الأئمة والشريعة .

* * *

---

(١) مجلة « المنهل » ، ص١٠١ ، العدد (٥٥٨) في صفر ١٤٢٠هـ .

المَبْحَثُ الثَّالِثُ

دور السَّلف في العناية بالعربية وتقصير الخلف فيها

لما كانت اللغة العربية لغة القرآن الكريم ، والحديث الشريف، والتراث الإسلامي العظيم شعر السَّلف بمسؤولياتهم نحو هذه اللغة الكريمة ، فبذلوا جهوداً مضنيةً في تأصيلها وتنقيحها ، ووضع قواعدها ومبادئها ، وألَّفوا كتباً في مزاياها وخصائصها المتنوِّعة التي جرى ذكر بعضٍ منها فيما سلف من الكلام .

يقول الإمام اللغوي الثعالبي (ت٤٢٩هـ) في مقدَّمة كتاب : « فقه اللغة وسرّ العربية » عن الجهود المبذولة في خدمة اللغة العربية :

« لما شرَّف الله العربية وعظَّمها ، ورفع خطرها وكرَّمها ، قيَّض لها حفظةً وخزنةً من خواصِّ الناس وأعيان الفضل وأنجُمِ الأرض ، فنسوا في خدمتها الشهوات ، وجابوا الفلوات ، ونادموا لاقتنائها الدفاتر ، وسامروا القماطر والمحابر ،

وكدُّوا في حصر لغاتها طباعهم ، وأسمروا في تقييد شواردها أجفانهم ، وأجالوا في نظم قلائدها أفكارهم ، وأنفقوا على تخليد كتبها أعمارهم »[١] .

الباكورة الأولى لتدوين اللغة :

فحُظِيت الدراسات اللغوية بعناية مبكِّرة من العلماء ، جاءت مواكبة للنهضة الثقافية التي أيقظها الإسلام ونمّتها وحفزت عليها الفتوحات الإسلامية وما استلزمه من اتصال العرب بغيرهم واختلاطهم به مما أوجد حاجةً ماسةً إلى شرح معاني القرآن الكريم وتفسير غريبه للمسلمين الجدد ولغيرهم ممن ضعفت صلتهم بالعربية وبعدوا عن موطنها ومرابعها الأصلية ، فكانت كتب (غريب القرآن) التي عنى بها الصحابة ومن بعدهم كابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ هي الباكورة الأولى لتدوين اللغة ، فبعد أن فتح ابن عباس هذا الباب حيث ينسب إليه أول كتاب في (غريب القرآن) توالى التأليف فيه ، فتبعه أبان بن تغلب البكري ، ومؤرج الدوسي ، وأبو عبيدة معمر بن المثنَّى ، وابن قتيبة وغيرهم حيث انفتح الباب على مصراعيه ، وتلت هذه المرحلة مرحلة أخرى متصلة بها ،

---

(١) كتاب « فقه اللغة » و« سِرُّ العربية » لأبي منصور الثعالبي النيسابوري ، ص٧ ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

وهي التأليف في (غريب الحديث) الذي بدأه أبو عبيدة ، تلاه تلميذه أبو عبيد القاسم ابن سلام ، ثم ابن قتيبة ، والخَطَّابي ، والهَرَوي ، والحَرْبِي ، والزَّمَخْشَرِي ، وابن الأثير وغيرهم .

وكان التأليف في غريب هذين المصدرين الكريمين فاتحة خير أمام علماء اللغة حفزتهم على التوسع في هذا المجال لتدوين ما حواه تراث العرب الشعري والنثري مما لم يرد في القرآن والحديث أو ورد فيهما بطريقة موجزة[١] .

« فكانت العناية الأولى باللغة استجابةً إلى ما توجبه المحافظة على القرآن الكريم وتفهُّم معانيه من حفظ مادته اللغوية وما ترمي إليه من دقيق الدلالة والمغزى وصحيح المبنى والمعنى .

ثم نجد بعد هذا أن العربية لم تكن سبيل العلم بالدين وحده ، بل نجدها سبيلاً إلى المعارف الإنسانية كلِّها ، ومظهراً من مظاهر الحضارة والمدنيَّة وترف العقل والإحساس ، وأداةً للتعبير عن تجارب الشعور والخواطر والآراء »[٢] .

---

(١) مجلة « الحرس الوطني » ، عدد صفر ١٤١٥هـ ، ص١٠٣ .

(٢) أحمد عبد الغفور عطار : مقدمة « الصحاح » ، ص٣٥ .

جهود القدماء في خدمة العربية :

فاندفع الكثيرون من علماء اللغة في تدوين تراث اللغة العربية لحفظها ، وتبارَوْا في فنون التأليف بجهودٍ علميةٍ كبيرة ، فمن يطالع « كتاب العين » لرائد المعجميِّين العرب الخليل بن أحمد ـ وهو أول من ألف معجماً في اللغة العربية[1] ـ يجد القدرة اللغويَّة ، وكذا « لسان العرب » لمحمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري المعروف بابن منظور ، و« القاموس المحيط » لمجد الدين بن يعقوب الفيروزآبادي ، و« تاج العروس » للزبيدي ، يدرك الجهود العظيمة لأنواع التصنيف اللغويّ .

ولم يتوقف أسلافنا على ذلك بل بحثوا وطرقوا ميادين فلسفة اللغة وفقهها وأسرارها كما عمل أبو منصور إسماعيل الثعالبي النيسابوري (ت٤٢٩هـ ـ ١٠٣٨م) في كتابه « فقه اللغة وسر العربية » ونوادرها وشواهدها من أمثال أبي زيد الأنصاري في نوادره والأصمعي ، وقطرب .

فقد كان لأعلام اللغة الأوائل دور كبير في تأسيس

---

(١) انظر : الدكتور محمد بن صالح الجاسر : « الكلمة بين المعاجم والموسوعات » ، مجلة « الحرس الوطني » ص١٣٨ ، عدد محرم ١٤٢٠هـ .

النظريات اللغوية ، وبذلوا جهوداً عظيمة ، وحققوا نتائج ممتازة في إرساء نظام من القواعد يتيح تفسير تغيُّرات اللغوية الصوتية والألفاظ التعبيرية ، وفهم الحقائق والخصائص ، فمن يطالع كتاب : « مقاييس اللغة » لابن فارس . ، و : « التهذيب للأزهري » ، و : « الجمهرة » لابن دُريد و : « الأساس » للزمخشري ، و : « المفردات » للراغب ، و« فصيح ثعلب » ، و : « الألفاظ الكتابية » للهمداني ، سيدرك قوة اللغة وسعة مفرداتها وإعجازها اللفظي والمعنوي ، وما تزخر به من نظامٍ نحويٍّ وأوزانٍ صرفيَّة ومن إعرابٍ وبناءٍ واشتقاقٍ وحركاتٍ وسكونٍ وقياس ، وغير ذلك من دقائق اللغة وأزاهيرها وخصائصها وصيغها ودلالاتها ومعاني المفردات والصيغ ، وغير ذلك مما هو مدوَّن في المعاجم اللغويَّة[١] .

الغرض الأساسي من تأليف المعاجم :

لقد كان الغرض الأساسيّ من تأليف هذه المعاجم هو خدمة لغة الكتاب والسنَّة وصيانتها من شوائب اللحن والخطأ ومما يشين جمالَها ويذهب برونقها وبهائها ، يقول ابن منظور

---

(١) مجلة « الحرس الوطني » ـ بتصرف يسير ـ عدد جمادى الآخرة ١٤١٧هـ ، ص١٢٢ .

(ت١٣١١هـ) ـ صاحب لسان العرب ـ وهو يبيِّن سبب تأليف معجمه :

« لم أقصد سوى حفظ هذه اللغة النبويَّة ، وضبط فضلها ، إذ عليها مدار أحكام الكتاب العزيز والسنَّة النبويَّة ، وذلك لِمَا رأيت قد غلب في هذا الأوان من اختلاف الألسنة والألوان ، حتى أصبح اللَّحن في الكلام يعدُّ لحناً مردوداً ، وصار النطق بالعربية من المعايب معدوداً ، وتنافس الناس في تصانيف الترجمانات في الأعجمية ، وتفاصحوا في غير اللغة العربية ، فجمعت هذا الكتاب في زمنٍ أهله بغير لغته يفخرون ، وصنعته كما صنع نوح الفلك ، وقومه منه يسخرون ، وسميته لسان العرب . . . » .

هكذا كان علماءُ اللغة الغُيُر المخلصون الذين أقاموا من أنفسهم حراساً يقظين عليها ، يذودون عن حماها ، وينفون عنها الخَبَث ، ولا يفْتُرون عن النقد والتمحيص وتنبيه الناس إلى الخطأ حتى يجتنبوه ، وردِّهم إلى الصواب كي يلتزموه ، وأشاروا في كتبهم إلى ذلك ، كما ألف بعضهم كتباً ورسالات في « اللحن » ، أقدمها رسالة منسوبة إلى الكسائي اسمها : « ما تلحن فيه العامَّة » ، وممن ألفوا في هذا الجانب أبو عبيدة (ت٢٠٩هـ ، ٨٢٤م) وأبو عثمان بكر بن محمد المازنيّ (ت٢٤٨هـ ، ٨٦٢م) وأبو حاتم السجستاني (ت٢٥٥هـ ،

٨٦٨م) وأبو حنيفة الدينوري (ت٢٩٠هـ ، ٩٢٠م) وأبو بكر محمد بن الحسن الزبيديّ الإشبيليّ (ت٣٧٩هـ ، ٩٨٩م) ، وكتب هؤلاء جميعاً بعنوان واحد هو : « لحن العامة » ، ولأبـي هـلالٍ العسكـري (ت٣٩٥هـ ، ١٠٠٤م) « لحـن الخاصة » ، وألف يحيى بن زياد الديلي المعروف بالفرّاء (ت٢٠٧هـ، ٨٢٢م) كتابه : « البهاء فيما تلحن فيه العامة »، وأبو الهيذام كلاب بن حمزة العقيلي الحراني (ت٢٠٧هـ ، ٨٢٢م) « ما تلحن فيه العامة » ، وغير هؤلاء كثير .

وكان هؤلاء وأولئك الأعلام يعدُّون هذا العمل أمراً دينياً ويذكرون أمر الرسول ﷺ عندما لحن أحدهم بحضرته : « أرشدوا أخاكم فقد ضلَّ »[١] .

قولة تاريخيَّة عجيبة غاية في الإعجاب بالعربية وحبِّها :

فالعلماءُ القدامى اهتمَّوا باللغة العربية اهتماماً عظيماً ، فقد وهبوا نفوسهم للغتهم ، وأحبوها حباً لا يتصور فوقه حبّ ، وقد ذكرت الكتب ـ بهذا الصدد ـ القولة التاريخية الخـالـدة التـي قـالهـا أبـو الـريحـان البيـرونـي ـ٩٦٢هـ ، ١٠٣٨هـ[٢] .

---

(١) أحمد عبد الغفور عطار : مقدمة « الصحاح » ، ص٣٣ .

(٢) البيروني مؤلفٌ وعالم كبير أقبل على مختلف أنواع العلوم ، وترك آثاراً=

« لئِنْ أشْتَم بالعربية خير من أن أمْدَح بالفارسية » :

إلى هذا الحدِّ العجيب بلغ حب الأوائل للعربية ! وإلى هذا الحد بلغ تفانيهم في خدمة العربية ، رحمهم الله وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

حبُّ العربية من حبِّ الله ورسوله ﷺ :

وكان السَّلفُ ـ رحمهم الله ـ يعدُّون حبَّ العربية من حبِّ الله تعالى ورسوله محمد ﷺ ، يدل على ذلك ما قاله أبو منصور الثعالبي (٣٥٠ـ٤٢٩هـ) :

= باقية في الآداب والتاريخ والرياضيات ، اسمه : أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي البيروني ، ولد في خوارزم سنة ٩٦٢هـ ، وقيل : ٩٧٣ وتوفي ١٠٤٨هـ ، درس الرياضيات والفلك والطب والتقاويم والتاريخ وعلوم الدين وكانت تربطه بابن سينا علاقة وثيقة ، وله في هذه العلوم مؤلفات قيمة تمتاز بالإحاطة والشمول والبحث الدقيق ، ومن مؤلفاته : الآثار الباقية عن القرون الخالدة ، وتاريخ الهند ، وكتب في سرد الأدب ، وشرح شعر أبي تمام ، ومختار الأشعار والآثار ، وقد وضع البيروني معادلة لاستخراج مقدار محيط الأرض يسميها علماء الغرب : « قاعدة البيروني » ، ويعترف علماء الغرب بأن قياس البيروني لمحيط الأرض من الأعمال العلمية المأثورة للعرب ، وكان البيروني أول من أثبت حركة أوج الشمس (هذه المعلومات عن البيروني مأخوذة من مجلة الحرس الوطني ، العدد رجب ١٤١٨هـ) .

« مَن أحبَّ الله تعالى ، أحبَّ رسوله محمداً ﷺ ، ومن أحب الرسول العربي ، أحب العرب ، ومن أحب العرب ، أحب العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب ، ومن أحب العربية عني بها وثابر عليها ، وصرف همته إليها ، ومن هداه الله للإسلام وشرح صدره للإيمان ، وآتاه حسن سريرة فيه ، اعتقد أن محمداً ـ ﷺ ـ خير الرسل ، والإسلام خير الملل ، والعرب خير الأمم ، والعربية خير اللغات والألسنة ، والإقبال على تفهُّمها من الديانة ، إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقُّه في الدين ، وسبب إصلاح المعاش والمعاد »[1] .

شهادات أجنبية بفضل العربية :

لقد أفنى السلفُ ـ رحمهم الله ـ أعمارهم في خدمة لغة الكتاب والسنَّة ، خدمة تدلُّ على ضخامتها الإشارات السابقة إلى الجهود والمؤلفات التي وضعوها في كل شيء يتَّصل باللغة العربية ، ثم جاء من بعدهم خلف ـ من العرب أنفسهم ـ اتهموها بالعجز والقصور عن مواكبة التطورات الحديثة ، في الوقت الذي شهد لها ـ للعربية ـ بالتفوق والعظمة والكمال والنضوج غير العرب والمسلمين ، فهذا المستشرق « رينان »

(١) مجلة « المنهل » ص١٠٠ ، العدد (٥٥٨) في صفر ١٤٢٠هـ .

صاحب الموسوعة المسيحية يعترف بفضل العربية وكمالها وعظمتها قائلاً :

« فهذه اللغة المجهولة التاريخ تبدو لنا فجأة بكل كمالها ومرونتها وثروتها التي لا تنتهي ، لقد كانت هذه اللغة منذ بدايتها بدرجةٍ من الكمال تدفعنا إلى القول بإيجازٍ ، إنها منذ ذلك الوقت حتى العصر الحاضر لم تتعرض لأي تعديل ذي بال ، فاللغة العربية لا طفولة لها ، وليست لها شيخوخة ـ أيضاً ـ منذ ظهرت على الملأ ، ومنذ انتصاراتها المعجزة ، ولست أدري إذا كان يوجد مثل آخر لِلُغةٍ جاءت إلى الدنيا مثل هذه اللغة من غير مرحلة بدائية ولا فتراتٍ انتقالية ولا تجارب تتلمس فيها معالم الطريق »[1] .

ويقول المستشرقُ الألماني : « فرنباج » ـ وهو يعترف بالدور الكبير الذي قامت به العربية في تاريخ العلم والمعرفة ـ :

« ليست لغةُ العرب أغنى لغات العالم فحسب ، بل إن الذين نبغوا في التاريخ ، لا يكاد يأتي عليهم العدُّ ، وإن اختلافنا عنهم في الزمن والسجايا والأخلاق أقام بيننا نحن

---

(١) السيد محمد صديق القنوجي : « البلغة في أصول اللغة » ، ص٧ ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م تحقيق نذير محمد مكتبي ـ دار البشائر الإسلامية ـ بيروت ، لبنان .

الغرباء عن العربية وبين ما أَلَّفوا حجاباً لا يتبين ما وراءه إلا بصعوبة »[1] .

بل واعترفَ العديد من المنصفين المستشرقين بأخذ كلمات كثيرة عربية في العلم والمخترعات الجديدة ، فهذه المستشرقة الألمانية « زيغريد هونكه » تقول معترفةً بذلك :

« إنَّ في لغتنا كلماتٍ عربيةً عديدةً ، وإننا لندين ـ والتاريخ شاهد على ذلك ـ في كثير من أسباب الحياة الحاضرة للعرب ، وكم أخذنا عنهم من حاجات وأشياء زينت حياتنا بزخرفة محببة إلى النفوس ، وألقت أضواء باهرة جميلة على عالمنا الرتيب »[2] .

ونكتفي بهذه الشهادات الثلاث الأجنبية التي ما قدَّمناها لكون العربية محتاجةً إليها في إثبات فضلها وأهميتها إليها ، ولكن من باب : « الفضل ما شهدت به الأعداء » !

فمِن هنا . . تبكي العين دماً لا دمعاً . . . حينما نرى العربية ينال منها من قِبَل أبنائها الناطقين بها ، الذين ينادون بهدمها وتحطيمها ، ويصمونها بالقصور والعجز من مواكبة التطورات الحديثة ، فإلى الله المشتكى !

---

(١) جريدة «الشرق الأوسط» ص١٤ ، العدد (٣٧٠٠) في ١٤/ ١/ ١٩٨٩م .
(٢) مجلة « المنهل » ، ص٦٢ ، عدد صفر ١٤١٦هـ .

ومعلومٌ أنَّه لما ظهرت حركة الترجمة في عهد المأمون فوجد المترجمون اللغة العربية وافيةً لهم بكل ما يحتاجون إليه مـن مصطلحـات فـي المنطـق والفلسفـة والطـب والفلـك والطبيعيات وغيرها من العلوم ، وهكذا ترجموا الكثير من المؤلفات اليونانية والرومانية والفارسية دون أن يجدوا صعوبة .

ومنذ ذلك الحينِ كانت الفصحى لغة العلم والثقافة في جميع أنحاء العالم الإسلامي ، واستمرَّت كذلك قروناً كثيرة ظهر خلالها عباقرة أثْرَوْا الفكر الإنساني في جميع الميادين كالرازي ، وابن سينا ، والخوارزمي ، وابن حيان ، وابن رشد وغيرهم ، ولم يتبرَّم أحد منهم بالفصحى ، ولا اتهمها بالعجز والقصور(١) ، بل كان التفاخر بإجادة اللغة والحرص على لهجتها العالية سمة الفصحاء ، حتى أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يفتخر بأنه أفصح العرب ، ولد في قريش واسترضع في بني سعد(٢) .

هذا . « وقد أشارَ القرآنُ الكريم إلى العامِّيَّة أو غير الفصحى في قوله تعالى : ﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ

---

(١) جريدة « الشرق الأوسط » ـ بتصرف يسير ـ ص١٤ ، العدد (٣٧٠٠) في ١٤/ ١/ ١٩٨٩م .

(٢) أحمد عبد الغفور عطار : مقدمة « الصحاح » ص٢٨ .

أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ﴾ [النحل : ١٠٣] احترز القرآن عندما وصف اللسان بأنه عربي فوصف بأنه مبين ، والمبين : الفصيح الذي لا كدرة فيه من عجمة أو لحن أو عيب »[1] .

* * *

---

(١) روح المعاني : ١٤/ ٣٢٤ ، وتفسير النسفي ٢/ ٣٣٢ ، نقلاً من مقدمة « الصحاح » ص١٧ .

نظرة على تاريخ محاربة العربية الفصحى

في أواخر ١٨١٨م ، ظَهَرت أولُ دعوةٍ صارخةٍ لمحاربة اللغة العربية الفصحى ، حين اقترحت مجلة « المقتطف » كتابة العلوم بلغة الحديث أي باللهجة المتداولة ، وفي سنة ١٩٢٠م هاجت الدعوة مرة أخرى حين ألف أحد قضاة محكمة الاستئناف الأهلية في مصر من الإنجليز اسمه : القاضي ولبور ، وسمى مصنَّفه « لغة القاهرة » ، ووضع لها قواعد ، واقترح أن تتخذ لغة للعلم والأدب ، وأن تكتب بالحروف اللاتينية ، وقد أشادت « المقتطف » بهذا السفر الجليل !

وفي سنة ١٩٢٦م دعا مهندسُ الري في مصر ، وهو « السيد وليم والكوكس » إلى هجر اللغة العربية ، وترجم أجزاء من الإنجيل إلى ما سمَّاه « اللغة المصرية » ونوه به من أدباء مصر سلامة موسى وأيد فكرته ، فقد تسلسلت هذه الدعوة ـ للأسف ـ إلى « مجمع اللغة العربية » ظهر ذلك في المجلة الناطقة باسمه في مقالات متسلسلة بعنوان : « اللهجة العربية » كتبها عضو المجمع علي اسكندر معلوف ، وبهذا يصدق المثل القائل : « من مأمنه يؤتى الحذر » ، أو كما يقال : « حاميها حراميها » !

وفي سنة ١٩٣٤م قام أبرزُ أعضاء هذا المجمع لحماية اللغة العربية وهو : عبد العزيز فهمي باقتراح كتابة العربية بالحروف اللاتينية ، ولا عجب فقد كان في هذا المجمع من ليس عربياً أصيلاً ، بل لقد كان فيهم مستشرقون ممن هم معروفون بنواياهم الاستعمارية مثل المستشرق « جب » وغيرهم .

وقد رحَّبَ « جب » بفكرة عبد العزيز فهمي أيما ترحيب لا سيَّما وأنه ذكره في كتابه « إلى أين يتجه الإسلام » : إن العربية من الروابط التي تربط المسلمين بعضهم ببعضهم ، وتشعرهم بوحدتهم ، فرأى هدمها وتحطيمها ، ثم جاء بعد ذلك كل متقرِّب إلى أعداء المسلمين يحمل راية حرب اللغة العربية ، حتى وجدنا من شعراء العصر ومن يُنْظَر إليه بعين الإكبار أو التقدير في مجال الشعر والأدب ، وجدنا من يرفع تلك الراية ، فهذا سعيد عقل اللبناني النصراني من كبار دعاة اللهجة العامِّيَّة بديلاً عن اللغة العربية الفصحى قد سمى ديواناً له : (أيارا) ونظم قصائده بالعربية ، ولكن كتب ديوانه بالحروف اللاتينية ، وهكذا صارت لغتنا الفصحى كلما أصابتها سهام تكسرت النصال على النصال[١] .

---

(١) بتصرف يسير من بحث حسين صديق يحيى حكمي ، المنشور في إحدى=

ولم تتوقَّفِ الأصوات المبغضة للفصحى فلم تزل ـ ولا تزال ـ تستمر وتتواصل وتظهر دعوات المتنكرين للعربية ، فمنهم من يرى أن تطعم الفصحى بالعامية وتخلط معها ، ويصف الفصحى بأنها عُزِلت عن معظم مجالات الحياة قروناً طويلةً حتى قلَّت طواعيتها للتعبير الحيّ الدقيق ، وخير وسيلة لمدها بروح الحياة : تطعيمها بإيقاعها اللهجات العاميَّة[1] ومنهم من يرى أن علينا أن نخاطب الشعب بلغته ـ كما يقول أيضاً ـ لأن الفصحى في رأيه عاجزة عن هذا الدور[2] .

ومنهم من تبلغ به الوقاحة إلى القول :

« إنَّ العربية باتت مشكلة كل العرب ، حتى عرب مئة بالمئة ، ما زالت العربية تتعثر عندهم ، ومازالت لا تتعدى لغة القراءة والكتابة ، العربية لم تصل بعد إلى لغة العمل مما جعلها أشبه شيء بلغة ميتة ، لقد أصابها أهلها بالقصور ، لأنهم ـ وأقول بمرارة ـ أهل قصور وعجز ، ألا نستحيي ونحن نطوي الصفحات الأخيرة من القرن العشرين ولا معجم لنا

= المجلات السعودية .

(١) البشير بن سلامة وزير الثقافة التونسي السابق : « نظرية التعليم الإيقاعي في الفصحى » ، نقلاً من مجلة الفيصل العدد (٢١٨) في شعبان ١٤١٥هـ ، ص٢٧ .

(٢) كاتب ياسين من الجزائر ، نقلاً من المرجع السابق .

يساير العصر ، لذلك لاغرابة أن يتجه البعض إلى الدارجة أو العامية للتعبير ، لأنها لغة « حية » بحكم سعة التعامل بها ولتغلغلها في عامة الناس تخاطباً وعملاً ، أما اللغة البربرية التي هي فصيلة العربية فأنا معها كوسيلة للتعبير بشرط أن تكتب بالحرف العربي حتى تبقى مربوطة إلى لغة الإسلام »[١] .

هكذا يُدبَّر للقضاء على العربية ـ للأسف ـ ممن ينتمون إلى الإسلام والعروبة نتيجة إيهام الاستعمار النشء أن العربية لم تَعُدْ صالحة للعصر ، وأنه لا سبيل للتقدُّم إلا بتعلُّم لغته ـ الاستعمار ـ والتعليم بها ، وقد ربط المستشرق ـ والقول للدكتور زيد[٢] ـ « وليم ويلكوكس » بين استخدام اللغة الفصحى وتخلُّف المصريين ، وبشَّر بأن تقدُّمهم مرهون باستخدام العامية ، لأنها لغة الشارع التي يستطيعون بها مجاراة العصر في مصطلحات علومه وتقنياته ، وكثرت التآليف التي وضعها المستشرقون لقواعد العامية ، وبخاصة المصرية واللبنانية منها ، ورصدت الجوائز لمن يؤلف بالعامي ، وجارى بعض العرب المستشرقين في اتجاههم نحو تفضيل العامية وتقديمها على اللغة الفصحى ، وكان جلُّهم

---

(١) محمد العروسي المطوي ، جريدة « الرياض » ، العدد (٨٦٢٠) نقلاً من المرجع السابق .

(٢) د . زيد بن عبد المحسن الحسين ، مجلة « الفيصل » (العدد ٢١٨) .

ممن يحملون حقداً دفيناً على الإسلام والقرآن الكريم .

وهكذا ترسَّخَتِ الفكرةُ في عقول الأجيال فاحتقروا الفصحى والمهتمين بها ، ونظروا إليها نظرة ازدراء وجفاء .

وهكذا يتبيَّنُ لنا أنَّ فكرة إهمال الفصحى وتهميشها ليست نابعة من كونها قد ضعفت يوماً ما من مواكبة العلوم ، ولكن لأن الاستعمار فرض علينا لغته فرضاً في وقتٍ لم يكن لنا فيه حولٌ ولا قوة ، وإلا فإنَّ : « اللغة التي كانت وعاءً لحضارة زاهية خلال قرون عدة في الماضي ، لن يعجزها أن تستجيب لمطالب الحضارة المعاصرة لما في هذه اللغة من مرونة واتساع وتعدُّد الوسائل والقابلية للنموِّ »[1] .

وكلُّ ذلك في الوقت الذي يحيي فيه اليهود لغتهم العبريَّةَ الميتةَ منذ مئات من السنين . . . ، واستطاعوا في مدة قصيرة أن يجعلوها لغة جاهزة لتسأنف دورها من جديد . . ، فهي الآن كذلك . . ولا تزاحمها أي لغة أخرى .

وقد أفاد تقريرٌ[2] أن المستشارين والموظفين من اليهود الذين يملؤون ردهات الحكومة الأمريكية يتخاطبون فيما بينهم بالعبريَّة حتى أثناء ساعات الدوام والعمل .

---

(١) مجلة المنهل ، العدد صفر ١٤١٦هـ ، ص٥٩ .

(٢) مجلة «المجتمع» ص٢٩ ، العدد (١١٢)، في جمادى الأولى ١٤١٥هـ.

أما نحن فنستحيي من التحادث والتخاطب بعربيتنا ، ونتباهى باللغات الأجنبية !

لماذا الهجوم على العربية الفصحى بالذات ؟!

لأنَّها ليست مجرَّد أداة للتفاهم والتخاطب فحسب ، بل لأنها لغة الدين والعقيدة والعبادة الإسلامية والتفاهم المشترك ، اللغة التي حملت وحفظت تراث المسلمين وعلومهم عبر خمسة عشر قرناً .

فمن هنا . . ركز الأعداء على إضعاف هذه اللغة العربية الفصحى التي أشاعوا عنها ـ فيما أشاعوا ـ أنها ـ كما قال زيد الحسين[1] ـ لغة المشاعر والعواطف ، ولا تصلح للعقول والأفكار والعلوم التي هي نتاج العصر وسمته البارزة . . ، ركزوا على إضعاف العربية الفصحى سواء بالدعوة إلى العامية أو كتابتها بالحروف اللاتينية . . فكل ذلك يستهدف هدفاً واحداً وهو القضاء على الفصحى . . ، وإن القضاء على الفصحى يعني انقطاع صلة المسلمين بلغة القرآن الكريم ويعني الصلة بلغة القرآن الكريم الانقطاع ـ ولا قدر الله ذلك ـ عن الدين والعقيدة والتراث .

---

(١) مجلة « الفيصل » العدد (٢١٨) ص٤ ، في شعبان ١٤١٥هـ .

ومِن العجيب حقاً أن الله سبحانه صان لسان العرب حين كان في بيئته البدوية المتواضعة ، فخرج على الدنيا من أحضان القلة والفقر أقوى عافية وأفصح منطقاً ، فكيف إذا فاضت الأرض في عصرنا بالخير ، ونعم العرب بفضل الله عليهم يهن لسانهم ، ويمضي أهله يتقمَّمون بقايا ألسنة أخرى ؟ أهي نقمة النعمة ؟ أم هو انحلال الترف ؟ أم أنها عاصفة وتمضي . . . ، كما يقول الدكتور عبد الصبور شاهين[١] .

فالمصيبةُ أعمّ والخَطْب أشدّ ، فمحاربة هذه اللغة الرائعة لم تأت من الخارج فقط ، بل كانت بمساعدة بنيها ! فكيف يرجى من أمة تنكَّرت للغتها وتراثها قيادة العالم برسالة سامية كالإسلام عماده تلك اللغة .

وهكذا صوِّبت السهام إلى اللغة ـ كما يقول الدكتور محمد السيد بلاسي ـ من كل جانب ، ولم يعد شيئاً يعتز به المسلم العربي كما كان يعتز به طيلة ثلاثة عشر قرناً من قبل ، بل أصبحت معرة يسارع الإنسان إلى الانسلاخ منها وتمتين العيب فيها ، والانتقاد عليها ، لكي يصبح من المثقفين ! ولم يكن بد من أن ينتقل هذا الوضع المزري من اللغة ذاتها إلى ما هو مكتوب بتلك اللغة ، وكان هذا هو الهدف الأخير المطلوب من ذلك التخطيط الخبيث .

---

(١) العربية لغة العلوم والتقنية : ص٩ ، دار الاعتصام بالقاهرة .

فالمكتوبُ باللغة العربية هو ذات الأمر كله وهو القرآن الكريم والمطلوب هو : صرف الأمة عن تراثها كله ، وعلى رأسه القرآن الكريم ، وانصرف الناس بالفعل عن قرآنهم وتراثهم بالتدريج ، فلم يعودوا يشعرون أنه هو الزاد ، إنما الزاد هو المكتوب بلغة السادة الغالبين[١] .

ولا نريد أن نطيل الكلام في الموضوع ، فالحديث ذو شجون وفنون ، والقضية معروفة قد أشبعت بحثاً ودراسةً ونقاشاً ، ولا نحتاج إلى أكثر من عزيمة صادقة إيمانية ترد إلى العربية الفصحى القرآنية مكانتها وشرفها وأهميتها وفضلها ، والإيمان بعزتها وكرامتها إيمان الأوائل ، والثقة بصلاحيتها لمواكبة تطورات كل عصر لقابليتها للنمو والاتساع .

ونكتفي بأن نعيد إلى أذهان القراء أبياتاً سائرة رائعة لأمير الشعراء أحمد شوقي الذي حذَّر فيها الأمة من محاولات تحطيم العربية وهدمها تحت مظلاتٍ مختلفةٍ بأسماء برَّاقةٍ من « التجديد » و« التحديث » و« التقدُّم » و« التطوُّر » . . . ، وينصح الأمة بالاعتصام بلغة القرآن والحديث مثلاً أعلى في البيان والتعبير :

---

(١) مجلة « المنهل » ، العدد (٥٥٨) في صفر ١٤٢٠هـ ، ص١٠٢ ، ١٠٣ .

لاتخلط الإعجام بالإعراب　　تحجل ـ وقاك الله ـ كالغراب
وكل ما لم يرم عن قوس العرب　　فليس في نبع لهم ولا غرب
فامش بآداب الكتاب تهتدِ　　وقِفْ بأبواب الحديث واجتدِ
هما هما القالب فيه يفرغ　　ومعدن الحسن الذي لا يفرغ

وهناك أبياتٌ أخرى رائعة من قصيدة مشهورة نظمها شاعر النيل حافظ إبراهيم على « لسان العربية » توجه فيها اللغة نقداً لاذعاً مريراً لأبنائها العاقِّين الذين أساءوا إليها بالتقصير في أمرها :

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي　　وناديت قومي فاحتسبت حياتي
رموني بعقمٍ في الشباب وليتني　　عقمت فلم أجزع لقول عداتي
وَلَدْت ، ولما لم أجد لعرائسي　　رجالاً وأكفاءً وأدت بناتي

وتشتكي العربية مما تعانيه من مؤامرات أجنبية تدبَّر ضدها ، ومن فسادٍ ولحنٍ يشاع في الصحف والجرائد :

أيطربكم من جانب الغرب ناعب　　ينادي بوأدي في ربيع حياتي
أرى كل يوم بالجرائد مزلقاً　　من القبر يدنيني بغير أناة

وتقوم اللغة العربية بدفاع قويٍّ عن نفسها ، وتبطل الاتهامات التي وجهت إليها من الجاهليين أو المتعصِّبين أو الحاقدين الذين يرمونها بالقصور والعجز عن احتواء مصطلحات العلوم ومسمَّيات آلات الحضارة المعاصرة ومستجدَّات الفكر الإنساني وملاحقة الركب :

وسعت كتاب الله لفظاً وغايةً وما ضقت عن آيٍ به وعظات

فكيف أضيق اليوم عن وصف آلةٍ وتنسيـق أسمـاءٍ لمختـرعـات

أنا البحر في أحشائه الدر كامنٌ فهل سألوا الغواص عن صدفاتي

ثم توجِّه اللغة العربية لوماً شديد اللهجة إلى رجال الصحافة والكتَّاب الذين يستخدمون لغةً مطعمةً بكلمات عامية متلبِّسة برطانةٍ أعجميةٍ ، فلنستمع إلى صرخة العربية في وجوه هؤلاء :

أيهجـرنـي قـومـي عفـا الله عنهـم

إلـــى لغـــة لـــم تتصـــل بـــرواة

سرت لوثة الإفرنج فيها كما سرى

لعاب الأفاعي في مسيل فرات[1]

فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة

مشكَّلـــة الألـــوان مختلفـــات

وفي خِتام القصيدة تثور ثائرة اللغة إلى أقصى الحد ، وتقول كلمتها الحاسمة الفاصلة الأخيرة :

إلى معشر الكتاب والجمع حافل

بسطت رجائي بعد بسط شكاتي

---

(١) الفرات : الماء العذب .

فإما حياة تبعث الميت في البلى

وتنبت في ذلك الرموس رفاتي

وإمَّـا ممــات لا قيــامــة بعــده

ممـات لَعَمْـري لـم يُقَـسْ بممـات

والواقعُ أن في عزة اللغة عزة الأمة وسيادتها ، وإلى هذا يشير شاعرنا ـ حافظ إبراهيم ـ بقوله :

أرى لرجال الغرب عزاً ومنعةً وكم عزَّ أقوامٌ بعزِّ لُغاتِ

ومنذ زمان أطلق أديبُ العربية الكبير الغيور على عرضها وشرفها الأستاذ مصطفى صادق الرافعي صرخته مدوية مجلجلة حيث يقول :

« ما ذُلَّت لغة شعبٍ إلا ذُلَّ ، ولا انحطت إلا كان أمرها في ذهاب وإدبار ، ومن هنا . . يفرض الأجنبي المستعمر لغته فرضاً على الأمة التي يستعمرها ويركبهم بها ، ويشعرهم عظمته فيها ، ويستلحقهم من ناصيتها ، ويحكم عليها أحكاماً ثلاثة في عملٍ واحد ، فالأول : حبس لغتهم في لغته سجناً مؤبداً ، وأما الثاني : فالحكم على ماضيهم بالقتل محواً أو نسياناً ، وأما الثالث : فتقييد مستقبلهم في الأغلال التي يصنعها ، فأمْرُهم من بعدها لأمره تبعٌ »[١] .

---

(١) وحي القلم : (٢/٣٣) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

إنَّنا لا ندعو إلى هجر اللغات الأخرى ، فالمسلمون بحاجة ماسة إلى تعلم اللغات الأجنبية لكي يقوموا بدعوة الإسلام وتبليغه إلى أبنائها بلسانهم ، ومعلوم أن سلفنا رحمهم الله كانوا يؤلِّفون ويدرسون بالعربية ما ينقلونه عن اللغات القديمة التي أجادوا معرفتها والترجمة عنها ، وهذه آثارهم في مكتبات العالم محفوظة بالعربية أو مترجمة عنها إلى اللاتينية تشهد بنبوغهم العلمي والفلسفي من كل لسانٍ عرفه العالم القديم(١) .

ضرورة الحفاظ على العربية :

إنَّما ندعو إلى الحفاظ على العربية ، لأن الحفاظ عليها يعني الحفاظ على ديننا وثقافتنا ومنابع شريعتنا وحضارتنا ، وهويتنا ، وتاريخنا ، ومُثُلنا .

والحِفاظُ على العربية مسؤولية كل مسلم ، لا تقل في ذلك مسؤولية العجمي عن العربي . . فالعربية لغة كل من دخل في حظيرة الإسلام ، والعربية ليست بالولادة في مكانٍ أو بلدٍ مخصوصٍ ، أو بالانتماء إلى منطقة معينة ، وإنما العربية عربية النطق والكلام لا عربية الجنس أو الأرومة أو المقام ، فمن تكلم العربية فهو عربي ، ولقد بيَّن ذلك سيد

---

(١) مجلة « المنهل » ، العدد (٤٩٨) ، ص١٣٣ ، في صفر ١٤١٣هـ .

العرب والعجم سيدنا ونبينا محمد ﷺ ـ نفسه ـ بقوله وعمله .

من تكلم العربية فهو عربيّ !

أمَّا القول ففي الحديث الشريف الذي رواه الحافظ ابن عساكر بسنده إلى مالك عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال :

جاء قيسُ بن مطاطية إلى حلقة فيها سلمان الفارسي وصهيب الرومي ، وبلال الحبشي ، فقال : هؤلاء الأوس والخزرج قاموا بنصرة هذا الرجل ، فما بال هؤلاء (يشير إلى سلمان وصهيب وبلال) فقام إليه معاذ فأخذ بتلابيبه حتى أتى به الرسول ـ ﷺ ـ فأخبره بمقالته ، فقام رسول الله ـ ﷺ ـ مغضباً يجرُّ رداءه ، حتى دخل المسجد ، ثم نودي : (الصلاة جامعة) فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أيها الناس ! إن الرب واحد ، وإن الأب واحد ، وإن الدين واحد ، ألا وإن العربية ليست لكم بأب ولا أم ، وإنما العربية لسان ، فمن تكلم العربية فهو عربي . . فقال معاذ وهو آخذ بتلابيب هذا الرجل : ما تقول في هذا المنافق ؟ فقال : دعه إلى النار ، قال فكان ممن ارتد فقتل في الردة .

وقد فهم الصحابةُ رضوان الله عليهم مقصد الرسول فهماً جيداً ، وساروا حسب توجيهه كعادتهم ، وانصرفوا إلى توحيد

صفوفهم وتوثيق أخوتهم ، وسد الثغرات في مجتمعهم لأنهم يعرفون : « أن رسول الله ﷺ كان لا يترك الرجل مفرجاً ، بل يلحقه بقبيلة يكون لها ، وتكون له » . فبلال بن رباح أخ لأبي بكر الصديق ، و« سلمان منا آل البيت »[1] .

للعربية حق على كلِّ مسلم :

ألا إنَّ ـ للعربية ـ من حيث كونها لغة الكتاب والسنة ـ حقاً على كلِّ مسلم ، حقَّ الحفاظ والدفاع والصيانة من كل نوع من أنواع الاعتداء ، فعلى المسلم أن يذود عن العربية ذوده عن العقيدة والدين ، لأن فهم العقيدة يتوقف على فهم العربية ، وبالتالي بقاء الأولى يتوقف على بقاء الثانية .

فقد آنَ الأوانُ أن نفضح خطط الأعداء ونكشف عن نواياهم الخبيثة ، ونثبت للعالم أن هذه اللغة لغةٌ ثريةٌ غنيةٌ باقيةٌ خالدة ، لأنها لغة القرآن الكريم الذي وعد الله بحفظه إلى قيام الساعة ، ونرعاها حق الرعاية ، ولا ندعها تتعرَّض للأعاصير الهوجاء والغزو اللغويِّ الشرس الذي يتسرَّب إليه بشتى الأساليب .

لقد آنَ الأوانُ أن نجعل العربية أداة تواصلٍ حيّ في شتى

---

(١) الأستاذ محمد بن سعد المشعان : « هل نحن عرب ؟ » مجلة « اليمامة » العدد (١٣٢٧) في جمادى الأولى ١٤١٥هـ .

مجالات الحياة الجادة وبين الأغلبية الساحقة من الأمة ، وأن نعمل على إثرائها والنهوض بها إلى المستوى الرفيع والحفاظ على سلامتها ورشاقتها وجمالها وخصائصها وجعلها ملائمة لحاجات العصر وإيجاد كلمات عربية عما يجدّ اليوم من مصطلحات في هذا العصر ، « فما دام أسلافنا وضعوا لبعض المسمَّيات مئات المفردات ، فليضع المعاصرون أسماء للمسمَّيات الحديثة التي وقفنا أمامها لكثرتها دَهشِين : عاجزين عن استحداث ألفاظ للمخترعات الحديثة .

وما دُمْنا قد تقدَّمنا في مجال الاستعمال اللغوي والأسلوب الكتابي ، فلنتقدم بلغتنا التي جمدها المتأخرون منذ عصور فساد اللغة وانحطاط أساليب الكتابة ، وجعلوها مقدسة كالقرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولتكون نهضتنا اللغوية صحيحة يجب أن نصحبها بنهضة أكبر من التأليف والطبع والنشر ، ذلك بأن نستقبل الجديد ونجد أسماء له عن طريق الوضع أو الاشتقاق مع المحافظة على أصول العربية وقواعدها وأبنيتها »[١] .

أَلْهَمَنا اللهُ الغيرةَ على عِرْض عربيَّتنا وشرفها وكرامتها ووفَّقنا لخدمتها خدمة الأبناء البارين السعداء ! (آمين) .

---

(١) أحمد عبد الغفور عطار : مقدمة « الصحاح » ص٢٧ .

ثبت المراجع

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي الشافعي ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

٣ ـ كتاب الأم للإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ، تحقيق دار المعرفة ، بيروت ـ لبنان .

٤ ـ الرسالة للإمام الشافعي ، تحقيق أحمد محمد شاكر .

٥ ـ اقتضاء الصراط المستقيم ، للإمام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني ، طبع أنصار السنة المحمدية ـ لاهور .

٦ ـ الصاحبي لأحمد بن فارس ، تحقيق أحمد صقر ، الطبعة الأولى ، عيسى بابي الحلبي .

٧ ـ كتاب الحيوان لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، الطبعة الثانية .

٨ ـ مقدمة ابن خلدون ، تحقيق د ، علي عبد الواحد وافي ، ط : ٣٠ دار نهضة مصر للطبع والنشر .

٩ ـ مقدمة الصحاح للأستاذ أحمد عبد الغفور عطار .

١٠ ـ سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ـ دار الكتب العلمية .

١١ ـ الفصحى لغة القرآن للأستاذ أنور الجندي .

١٢ ـ اللغة العربية والصحوة العلمية الحديثة ، د . كارم السيد غنيم ، مكتبة ابن سينا ، القاهرة .

١٣ ـ الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ، تحقيق حسام الدين

القدسي ، ١٤٠١هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

١٤ ـ البلغة في أصول اللغة للسيد محمد صديق القنوجي ، تحقيق نذير محمد مكتبي ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، لبنان .

١٥ ـ مقالات وآراء في اللغة العربية ، للدكتور حمد بن ناصر الدخيل الطبعة الأولى ، دار الشبل بالرياض ١٤١٥هـ .

١٦ ـ العلم باللغة العربية ضرورة عقدية للدكتور عباس أرحيلة .

١٧ ـ صوت الكلام عن فن المنطق والكلام ، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، شرح وتعليق الدكتور سامي النشار .

١٨ ـ كتاب فقه اللغة وسر العربية لأبي منصور الثعالبي النيسابوري ، طبع دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

١٩ ـ نظرية التطعيم الإيقاعي في الفصحى للأستاذ البشير سلامة .

٢٠ ـ وحي القلم لمصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان .

٢١ ـ العربية لغة العلوم والتقنية للدكتور عبد الصبور شاهين .

٢٢ ـ جريدة « الشرق الأوسط » السعودية .

٢٣ ـ جريدة « عكاظ » السعودية .

٢٤ ـ مجلة « الفيصل » السعودية .

٢٥ ـ مجلة « المنهل » السعودية .

٢٦ ـ مجلة « الداعي » الهندية .

٢٧ ـ مجلة « الدعوة » السعودية .

٢٨ ـ مجلة « اليمامة » السعودية .

٢٩ ـ مجلة « الحرس الوطني » السعودية .

٣٠ ـ مجلة « المجتمع » الكويتية .

* * *

الفهرس

هذا الكتاب

هذا الكتاب مُؤَسَّسٌ على دراسة واسعة واعية لعشرات من المصادر والمراجع ، من الكتب والمجلات العربية الوقورة ، سهر فيها مؤلِّفه الأيام والليالي ، وانتقى منها خلاصة مصطفاة من روائع الأقوال ، ومطايب الشهادات ، وجميل الآراء والبيانات ، للعلماء والأئمة ، والأدباء والكتَّاب قديماً وحديثاً ؛ كلها تجلِّي بدلائل منطقيّة خصائص اللغة العربية ، وفضلها على جميع اللغات واللهجات في العالم البشريّ ؛ وتبيّن معجزاتها وتفرّداتها بين شقيقاتها وصديقاتها في الدنيا ؛ وتؤكد كونها ضرورة عقدية وحاجة شرعية ، ومطلباً إسلامياً ، واختياراً ربّانياً ، وتعطي صورة مغبوطة مشجعة لدور السلف الصالح في الاهتمام بها ، والسهر عليها ، وحبهم العجيب لها ؛ ومقابل ذلك تشير إلى تقصيرنا المشين وإهمالنا الخطير في شأنها .